2 me Année, No. 78.

Lundi-31-12-1934

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

السنة الثانية — « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٣ — ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ » — العـــدد ٧٨

فهرس العـــــدد

صفحة		
٢١٢١	الراديو والشاعر	أحمد حسن الزيات
٢١٢٣	السطر الأخير من القصة	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٢١٢٧	حاية التفكير وتكريم النبوغ	الأستاذ محمد عبد الله عنان
٢١٢٩	الشيخ الخالدي	الدكتور عبد الوهاب عزام
٢١٣٢	تطور الحركة العقلية في شمال أفريقية	المستشرق جستون بوتول
٢١٣٤	ليلة حافلة	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٢١٣٦	الحكم الأدبي	السيد محمد نوفل
٢١٣٨	توماس كارليل	الأستاذ محمود محمد محمد
٢١٤١	محاورات أفلاطون	ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود
٢١٤٤	زواج الشاعر	الأديب حسين شوقي
٢١٤٥	التوابع والزوابع	محمد فهمي عبد اللطيف
٢١٤٧	بين القاهرة وطوس	الدكتور عبد الوهاب عزام
٢١٥٠	الشمس في الغروب (قصيدة)	الأستاذ جميل صدقي الزهاوي
٢١٥٠	شـعري	المرحوم أبو القاسم الشابي
٢١٥٠	جنون الغيرة	فريد عين شوكة
٢١٥١	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا	الأستاذ خليل هنداوي
٢١٥٣	كيتي كونان — لروجيه فرسل	ترجمة علي كامل
٢١٥٦	البريد الأدبي —	الجوائز الأدبية الفرنسية ، الفردوسي في السوربون ، إيطاليا تحتفل بالفردوسي ، وفاة جوستاف لانسون ، تحسين جديد في (التليفون)
٢١٥٩	في علم النفس (كتاب)	الأستاذ زكي نجيب محمود
٢١٦٠	وجهة الاسلام (كتاب)	الأستاذ الخفيف

الرَّاديو و «الشاعر» ...

أَلِفتُ منذ سنين أن أزور رمضان في ربوعه الأصيلة ، ومغانيه الباقية . ومن لم يشهد رمضان في حيّ الحسين ، أو في حيّ الحسينية ، أو في أمثالها من الأحياء القديمة لم يشهده في قداسته المهيبة وجلالته الباهرة !

كنت في إحدى لياليه الزُّهر أخرج متى استيقظت الشاعر من فَترة الصيام ، وسكْرة الطعام ، فأعبُر القرون العشرة التي تفصل بين قاهرة الملك فؤاد وقاهرة الخليفة المعز ، فأجد رمضان المعظم قد نشر بنوده ، وأعان وجوده ، في كل شارع وفي كل منزل ! فهو خير يتدفق في البيوت ، وبشر يتهلل في الوجوه ، وأنس يتطلق في المجالس ، وذكر يتضوع في المساجد ، ونور يتألق في المآذن ، وسمر يتنقل في الأندية ، ونفحات من الفردوس ترطب القلوب ، وتلين الأكباد ، وترفّ على ما ذوى من العواطف

فالحوانيت سامرة وان لم تبع ، والمصانع ساهرة وان لم تنتج ، والأبهاء عاطرة بحديث الأحبة حتى نصف الليل ، والأفنية عامرة بذكر الله حتى أول السحر . أما كثرة الناس فقد أخذوا

مجالسهم من قهوات الحي ويأتوا ينضحون « مزاجهم » الظامئ بالفناجيل الرويّة ، ويشققون أحاديثهم الطلية بالنكات المصرية ، ثم يستمعون في خشوع العابد وسكون العاشق ولهفة الطفل إلى القصاص أو الشاعر ، وقد طوّفت به أشباح القرون ، وغمغمت في صوته أصداء الزمن . يتربع في صدر المكان على منصة عالية من الخشب العتيق ، وهو في سَمْتِه وهندامه ولهجة كلامه وطريقة سلامه نموذج العامي الأديب ، ومثال الحضري المثقف : حفظ كثيراً من الأشعار فاكتسب ظرف الأدب ، وروى صدراً من الأمثال فاكتسى وقار الحكمة ، ووعى طائفة من الأخبار فاتّسم برقة المنادمة . وهو إلى ذلك بارع النادرة ، دقيق الفطنة ، عذب الفاكهة ، حاضر الجواب ، يؤدي إلى هذا الجمهور الغرير الساذج دعوة الواعظ ، وأمانة المعلم ، ورسالة الأديب

* * *

ها هو ذا قد فرغ من احتساء القهوة ، وجباية النقوط ، ومبادلة السامع المعتاد جميلَ التحية ، ومسارقة الزائر الممتاز رغيبَ النظر ؛ ثم أخذ يحتفل للقصص أو الانشاد ، فاحتبست قهقهة (النكتة) ، وانقطعت قرقرة (الجوزة) ، وانتشرت سكينة الجد في القهوة ، واتجهت عيون الجمع إلى المنصة ، ثم رن في سكون القوم ذلك الصوت العريض المتّزن يرسل الكلام والأنغام في ترجيع مؤثر ، وتقطيع معبر ، وتنويع مطرب ؛ فهو يفخم ويرقق ، ويقسو ويلين ، ويأنف ويستكين ، ويثور ويهدأ ، ويسخط ويرضى ، ويتدلل ويتذلل ، ويتحمس ويتغزل ، كأنه في تعاقب ذلك كله عليه الأوتار الطيّعة تحت الأنامل اللينة البارعة ، فيملأ الآذان بالنغم ، والأذهان بالفكر ، والقلوب بالشوق ، والمشاعر باللذة .

* * *

ذهبت ليلة الأمس على عادتي أرُود المعاهد ، وأجوس الديار ، وأستنشي ما بقي على أطراف الزمن من عبير الفاطميين ، فوجدت القاهرة الشرقية لا تزال تتحدى القاهرة الغربية بمساجدها ومدارسها ومستشفياتها وخاناتها وحماماتها وأسواقها ، وتعلن بشهادة هذه الآثار أن حضارتها العربية الخالصة إنما كانت تقوم على الدين والعلم والمدنية والانسانية والعمل . وتزعم بأدلة الاعتبار أن هذا المظهر الحسي القوي الرائع الذي يميز حضارة الغرب من حضارة الشرق إنما يرجع إلى أن هذه تقوم على الروح ، وتلك تقوم على الآلة ، وهذه تُصدر عن العاطفة والايثار ، وتلك تصدر عن المنفعة والأثرة ؛ والميزة التي ينبغي أن تكون لحضارة على حضارة إنما هي ضمان السعادة للناس ، وتحقيق السلام للعالم

* * *

ولكن أين صديق الشاعر ، وأين أخوه القصاص ! هذا هو الحي ، وهذه هي القهوة ، وهؤلاء هم الناس ، ولكني وجدت في مكان الأريكة المنجَّدة ، والحلة المفوّفة ، والعمامة الفردة ، صندوقاً من الخشب ، دقيق الصنع ، أنيق الشكل ، قد علق بالحائط ، فأغنى غناء القصاص ، وأبلى بلاء الشاعر ! !

تركت هذه القهوة ومضيت أتحسس في زوايا الحي وحنايا السوامر ذلك الصوت الذي كان ينبعث من جوف الماضي السحيق شادياً بالمجد والنبل والبطولة ، فلم أجد له — وا أسفاه — جَرْساً ولا صدى ! !

لقد هزم الرديو الشاعر في كل قهوة ، كما هزمت الآلة الانسان في كل عمل ؛ ففي كل مقهى من هذه المقاهي (البلدية) آلة من هذا الاختراع العجيب تغري الأذواق العامية بالفن ، وتروض الآذان العصيّة على الموسيقى ، وتنبه العقول الغافلة الى العلم ، وتحبب النفوس المستهترة في الأدب ؛ فهي تقرأ القرآن ، وترسل الألحان ، وتذيع العلم ، وتُشيع اللهو ، وتنشر البهجة ! ولكني مع ذلك كله عظيم الأسف على موت القُصاص ، شديد الأسى على فقد الشاعر !

فإن مخاطر الشهامة (لأبي زيد) ، ومواقع البطولة (لعنترة) ، ومواقف النبل (لسيف بن ذي يزن) ، أصلح لتهذيب العامة فيما أظن مما يبثه المذياع كل يوم من النوادر الوضيعة ، والأناشيد الخليعة ، والألحان الرخوة !

احمد حسن الزيات

السطر الأخير من القصة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

رجعت إلى أوراق لى قديمة ، يبلغ عمرها ثلاثين سنة أو لِداتها ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ؛ وجعلت أفلى هذه الأوراق واحدة واحدة ، فاذا أنا على أطلال الأيام فى مدينة قائمة من تاريخى القديم ، نائمة تحت ظلماتها التى كانت أنوار عهد مضى ؛ وإذا أنا منها كالذى اغترب ثلاثين سنة عن وطنه ثم آب إليه ، فما يرى من شىء كان له به عهد فى أيام حداثته ونشاطه إلا اتصل بينهما سر . ومن طبيعة انقلاب العاشق فى حنينه أن يجعل كل شىء يتصل به كأنه ذو قلب مثله له حنين ونجوى !

وذلك التلاشى المحفوظ فى هذه الأوراق ، يحفظ لى فيها وفيما تحتويه نفساً وطبيعة كانتا نفس شاعر وطبيعة روضة ، فى عهد من الصبى كنت فيه أتقدم فى الشباب وفى الكون معاً ، كأن الأشياء تخلق فى خلقاً آخر ؛ فاذا قرضت شعراً واستوى لى على ما أحب ؛ أحسست إحساس الملك الذى يضم إلى مملكته مدينة جديدة ؛ وإذا تناولت طاقة من الزهر وتأملتها على ما أحب ، شعرت بها كأجمل غانية من النساء توحى إلى وحى الجمال كله ؛ وإذا وقفت على شاطئ البحر رجرج البحر بأمواجه فى نفسى ، فكنت معه أكبر من الأرض وأوسع من السماء . أما الحب . . . ؟ أما الحب فكانت له معانيه الصغيرة التى هى كضرورات الطفل للطفل ، ليس فيها كبير شىء ، ولكن فيها أكبر السعادة ، وفيها نضرة القلب

عهد من الصبى كانت فيه طريقة العقل من طريقة الحلم ؛ وكانت العاطفة هى عاطفة فى النفس ، وهى فى وقت معاً خدعة من الطبيعة ؛ وكان ما يأتى ينسى دائماً ما مضى ولا يذكر به ؛ وكانت الأيام كالأطفال السعداء ، لا ينام أحدهم إلا على فكرة لعب ولهو ، ولا يستيقظ إلا على فكرة لهو ولعب ؛ وكانت اللقمة نفسها كأن فيها ألفاظاً من الحلوى ؛ وكانت الآلام — على قلتها — كالمريض الذى معه دواؤه المجرب ؛ وكانت فلسفة الجمال تضحك من فيلسوفها الصغير ، الواضح كل الوضوح ، المقتصر بكل لفظ على ما يعرف من معناه ، المتفلسف فى تحقيق الرغبة أكثر مما يتفلسف فى تخيل الفكرة !

هو العهد الذى من أخص خصائصه أن تعمل ، فيكون العمل فى نفسه عملاً ، ويكون فى نفسك لذة

* * *

فى أوراق تلك بحثت عن قصة عنوانها « الدرس الأول فى علبة كبريت » كتبتها فى سنة ١٩٠٥ ، وأنا لا أدرى يومئذ أنها قصة يسبح فى جوها قدر روائى عجيب ، سيأتى بعد ثلاثين سنة فيكتب فيها السطر الأخير الذى تتم به فلسفة معناها

وهأنذا أنشرها كما كتبتها ؛ وكان هذا القلم إذ ذاك غضاً لم يصلب ، وكان كالغصن تميل به النسمة ، على أن أساس بلاغته قد كان ولم يزل ، بلاغة فرحه أو بلاغة حزنه ؛ وهذه هى القصة :

« عبد الرحمن عبد الرحيم » غلام فلاح ، قد شهد من هذه الدنيا تسعة أعوام ، مرت به كما عر الزمن على ميت لا تزيده حياة الأحياء إلا إهمالاً ؛ فنشأ منشأ أمثاله ممن فقدوا الوالدين ، وانتزعوا من تحنانهم فتركوا للطبيعة تقصيهم وتصلهم بالحياة ، وتضيق لهم فيها وتوسع

وهيأت الطبيعة منه إنساناً حيوانياً ، لا يبلغ أشده حتى يغالب على الرزق بالحيلة أو الجريمة ، ويستخلص قوته كما يرتزق الوحش بالمخلب والناب ؛ ولن يكون بعد إلا مجموعة من الأخلاق الحيوانية الفاتكة الجريئة ؛ فان الطبيعة متى ابتدأت عملها فى تحويل الانسان عن إنسانيته ، نزلت به إلى العالم الحيوانى ووصلته بما فيه من الشر والدناءة ، ثم لا تترك عملها حتى يتحول هو إليها

وألف « عبد الرحمن » فى بلده حانوت رجل فقير ، يستغنى بالبيع عن التكفف وعن المسألة ؛ فكان الغلام يكثر الوقوف عنده ، وكان يطعم من صاحبه أحياناً كرزق الطير ، فتاتاً وبقايا ، إذ كان الغلام شحاذاً ، وكان صاحب الحانوت

لا يرتفع عن الشحاذة إلا بمنزلة تجعل الناس يتصدقون عليه بالشراء من بضائعه التي يسميها بضاعة : كالخيط والابرة ، والكبريت والملح ، وغزال للولد ، وكحل للصبايا ، ونشوق للعجائز نسخة الشيخ الشعراني ، وما لفّ لفها مما يصعد ثمنه من كسور المليم إلى المليم وكسوره !

وتغفله الغلام مرة ، وأهوى بيده إلى ذخائر الحانوت ، فالتقطت « علبة كبريت » ، كان الفرق كل الفرق بين أن يسرقها وأن يشتريها نصف مليم . ولكن من له « بالعشرين الحردة » ؟ وهي عند مثله دينار من الذهب يرن رنيناً ويرقص على الظفر رقصة إنجليزية

وماذا يصنع بالعلبة ؟ همت نفسه أن تجادله ولما تكن رعشة يده من هول الاثم . ولكن الغلام كان طبيعياً ولم يكن فيلسوفاً ، ولذلك رأى أن يحرز الحقيقة بعد أن وقعت يده عليها . وقد اصطلح الناس على أن مادة السرقة هي «مد اليد» أخطأت أم أصابت ، وجاءت بالغالي أو جاءت بالرخيص ؛ فضم أصابعه على العلبة وانتزعها ، وترك في مكانها فضيلة الأمانة التي لم يعرف له الناس قيمتها ، فهانت كذلك على نفسه ، وانطلق وهي تناديه :

أيها الغلام ، أتدفع ثمن علبة الكبريت سنتين من عمرك ، وهل خلا الناس ممن يعرفون لعمرك قيمة ؟

وارتد رجع الصوت الخفي الى قلبه من حيث لايشعر ، فضرب قلبه ضربات من الخوف ، وزاد زوة مضطربة ؛ فالتفت الغلام مرة أخرى ، ثم أمعن في الفرار وترك الأمانة تناديه :

أيها الغلام ، إن لك في الآخرة ناراً لا توقد بهذا الكبريت ، ولك في الدنيا سجن كهذه العلبة ، فالعب العب مادام الناس قد أهملوك ، إلعب بالثقاب الذي في يدك فسيمتد فيك معنى اللعب حتى يجعل حياتك في أعمار الناس دخاناً وناراً ، وستكون أيامك أعواداً كهذا الكبريت تشتعل في الدنيا وتحرق

وكأن أذناب السياط كانت تلهب ظهر الغلام المسكين ، ولكنه ما كاد يلتفت هذه المرة حتى كان في قبضة صاحب الحانوت ، وإذا هو بكلمة من لغة كفه الغليظة ، خيلت له في شعرها أن جداراً انقض عليه ، وثلمها جلة من قوافي الصفع جلجلت في أذنيه كالرعد ، وأعقب ذلك مثل الموج من جماعات الأطفال أحاط به ، فترك هذا الزورق الانساني الصغير يتكفأ على صدمات الأيدي . فما أحس الغلام الشمس إلا أن الكبريت الذي في يده قد انقدح في رأسه ، وكانت أنامل صاحب الحانوت كأنما تحك أعواده في جلد وجهه الخشن !

* * *

وذهبوا به الى (دوار) العمدة يقضي فيه الليل ، ثم يصبح على رحلة الى المركز والنيابة . وانطرح المسكين منتظراً حكم الصباح ، مؤملاً في عقله الصغير ألا يفصح النهار حتى يكون « سيدنا عزرائيل » قد طمس الجريمة وشهودها ؛ ثم أغفى مطمئنا الى ملك الموت وأنه قد أخذ في عمله بجد ، وأيقن عند نفسه أن سيشحذ في الخميس مما يوزع في المقبرة صدقة على أرواح العمدة ، وصاحب الحانوت ، والخفير الذي عهدوا اليه جره الى المركز . . . ! وكيف يشك في أن هذا واقع بهم وهو قد توسل بالولي فلان ونذر له شمعة يسرقها من حانوت آخر . . !

هكذا عرف الشر قلب هذا الصبي ، وانتهى به عدل الناس الى أفظع من ظلم نفسه ، وكأنهم بذلك القانون الذي يصلحونه به على زعمهم ، قد ناولوه سبحة ليظهر بها مظهر الصالحين ، ولم يفهموه شيئاً ففهم أنهم يقولون له : هذه الجريمة واحدة ، فعد جرائمك على هذه السبحة لتعرف كم تبلغ !

كانت في الحقيقة لعبة لا سرقة ؛ وكانت يد الغلام فيما فعلت مستجيبة لقانون المرح والنشاط والحركة ، كما تكون أعضاء الطفل لا كما تكون يد اللص ؛ وكان أشبه بالرضيع يمد يده لكل ما يراه ، لا يميز ضارة ولا نافعة ، وإنما يريد أن يشعر ويحقق طبيعته ؛ وكان كل ما في الأمر وقصارى ما بلغ — أن خيال هذا الغلام ألف قصة من قصص اللهو ، وأن الكبار أخطأوا في فهمها وتوجيهها . . ! ليست سرقة الطفل سرقة ، ولكنها حق من حقوق ذكائه يريد أن يظهر

* * *

وانتهى « عبد الرحمن » الى المحكمة ، فقضت بسجنه في

(اصلاحية الأحـداث) مدة سنتين ، واستأنف له بعض أهل الخير فى بلده ؛ صدقةً واحتساباً . . . إذ لم يكلف الاستئناف إلا كتابة ورقة . فلما مَثَلَ الصغيرُ أمام رئيس المحكمة لم يكن معه لفقره محام يدفع عنه ، ولكن انطلق من داخله مُحامٍ شيطانيٌّ يتكلم بكلام عجيب ، هو سخريةُ الجريمة من المحكمة ، وسخريةُ عملِ الشيطان من عَمَلِ القاضى . . . !

سأله الرئيس : « ما اسمك ؟ »

— « : إسمى عبده ، ولكن العمدة يسمينى : يابن الكلب ! »

— : « ما سِنَّك ؟ »

— : « أبويا هُوَ اللى كان سَنَّان »(١)

— : « عُمْرك إيهْ ؟ »

— : « عُمْرى ؟ عُمْرِى ما عَمَلت شَقَاوة ! »

النيابة للمحكمة : « ذكاءٌ مخيف يا حضرات القضاة ! عُمْرُه تِسْع سنوات ! »

الرئيس — : « صَنعتك إيهْ ؟ »

— : « صَنعتى ألْعَب مع محمود ومريم ، وأضْرَب اللى يِضْرَبْنى ! »

— : « تعيش فِينْ ؟ »

— : « فى البلد ! »

— : « تاكل منين ؟ »

— : « آكل من الأكل ! »

النيابة للمحكمة : « يا حضرات القضاة ؛ مثلْ هذا لايسرق علبة كبريت إلا ليُحرِق بها البلد . . . ! »

الرئيس : « ألَكَ أمّ ؟ »

— : « أمى غضْبِتْ على أبويا ، وراحت قعدت فى التُرْبة ، ما رِضْيِتْشْ تِرْجَع ! »

— : « وأبوك ؟ »

— : « أبويا لآخَرْ غِضِبْ وراحْ لها »

الرئيس ضاحكاً : « وأنتَ ؟ »

— : « والله يا افنـدى عاوِز اغضَب ، مُشْ عارف أغضب ازّاى ! »

— : « إنتَ سرقت علبة الكبريت ؟ »

— : « دِى هِيَّ طارت من الدكان ، حسبتها عصفورة ومسكْتها . . . . »

النيابة : « وليهْ ماطارتْش العلب الّلى معاها فى الدكان ؟ »

— : « أنا عارف ؟ يمْكِن خافت منى ! »

النيابة للمحكمة : « جراءة مخيفة ياحضرات القضاة ، المتهم وهو فى هذه السن ، يشعر فى ذات نفسه أن الأشياء تخافه » .

فصاح الغلام مسروراً من هذا الثناء .. « والله يا افندى إنتَ راجل طيِّب ! أديكْ عَرفْتِنى ، ربنا يكفيك شر العمدة والغفير ! »

* * *

وأمضى الحُكْمُ فى الاستئناف ، وخرج الصغير مع رجال من المجرمين يسوقهم الجند ، ثم احتبسوا الجميعَ فترةً من الوقت عند كاتب المحكمة ، ليستوفىَ أعماله الكتابية ؛ ثم يساقون من بعدُ الى السجن

وجلس « عبد الرحمن » على الأرض ، وقد اكتنفه عن جانبيه طائفة المجرمين يتحادثون ويتغامزون ، وكلُّهم رجال ولكنه وحده الصغير بينهم ؛ فاطمأنّ شيئاً قليلا ، إذ قدّر فى نفسه أنه لو كان هؤلاء قد أُريدَ بهم شرٌّ لما سكنوا هذا السكون ، وأن الذى يرادُ بهم لا يناله هو إلا أصغرُ منه ، كصفعةٍ أو صفعتين مثلاً . . . وهو يسمع أن الرجال يَقتلون ويُحرّقون ويَسِمُّون ويعتدُون وينهبون ؛ وما تكون (علبة الكبريت) فى جنب ذلك ، وخاصةً بعد أن استردّها صاحبُها ، وقد نال هو ما كفاه قبل الحكم ؟

وما لبث بعد هذا الخاطر الجميل أن ردّ الاطمئنانُ فى عينيه دموعا كاد يُريقها الجزَع . غير أن القلق اعتادَهُ فالتفتَ إلى كُتّاب المحكمة مرّة وإلى الجند مرّة ، ثم لوى وجهه ولم يَستبحْ لنفسه أن يتجرّأ على الفكر فيهم ، لأنه قابَلَ مهابتهم بآلهة بلده : العمدة والمشايخ والخفراء ؛ فأدركَ أن الجنود هم الحكومة القادرة ، واستدلّ على ذلك بأزرارهم اللامعة ، وخناجرهم الصقيلة ، وتمثّلت فى قلبه رهبةُ هذه الخناجر ، فاضطرب خشيةَ أن يكونوا قد أسلموه إلى مَن يذبحه ، فنظر الى الذى يليه من المجرمين وسأله : « راحْ ياخدُونى فِينْ ؟ » فأجابته لكمةٌ خفيّة انطلق لها

---

(١) كان أبو الغلام سناناً ، ومثل هذا القدر من العامية فى القصة هو ملح القصة

دمعه ، حتى أسكَتَهُ الذى يليه من الجانب الآخر ، وكان فى رأيه من الصالحين :

ثم اتصل الجزعُ بين قلبه وعينيه ، فهما تضطربان الى الجهات الأربع ، وكأنما يُحاول أن يستشفّ من أيّها سيأتيه الموتُ ذَبْحاً .

ولم يكن فَهِمَ معنى (الاصلاحية) ، وحَكَمَ القضاةُ عليه كأنه رجل يفهم كلَّ شىء ، ولم يرحموا هذه الطفولة بكلمة مُفسِّرة . وعدلُ التربية غيرُ عدل القانون ، فكان الواجب على القاضى الذى يحكم على الطفل ، أن يجعل حُكمَهُ أشبَهَ بصيغةِ القصة منه بصيغةِ الحُكم ؛ وأن يَدَعَ الجريمة تنطلق وتذهب فلا يقول لها امكُثى . .

وبقى للخناجر رهبتها فى نفس هذا المسكين ، فلو أنهم قادوه إلى حبل المشنقة لأفهمه (الحَبْلُ) معنى العقوبة ، أما وهو بين هذه الخناجر المُغمدة – وفى الخناجر معنى الذبح – فانما هو الذبح لا غيرُه

وطرقتْ أذنيه قهقهة المجرم عن يمينه فاستنقذتْه من هذا الخاطر ، فثبّتَ عينَه فى الرجل ، فاذا هو يرى وجهاً متلألئاً ، وجسماً رابطَ الجأش ، وهُزُؤاً وسخرية بهؤلاء الجنود وخناجرهم

واستراح الغلام الى صاحبه هذا ، وألحّ بنظره عليه ، وابتدأ يتعلّم فى وجهه الفلسفة ؛ وليست الفلسفةُ مقصورةً على الكتب ، بل إن لكل إنسان حالةً تشغله ، فَنَظَرُه فى اعتبار دقائقها وكشفِ مستورها هو الفلسفةُ بعينها

وقال الغلام لنفسه : « هذا الرجل أقوى من كل قوة ؛ فهو محكوم عليه ولا يبالى ، بل يقهقه ضحكا ؛ فهذا الحكم إذن لا يخيف . لا ، بل هو تعوَّدَ الأحكام ، إذن فمن تعود الأحكام لم يَخَفْ الأحكام ؛ إذن يا عبد الرحمن ستتعود ، فان الخوف هذه المرة قد غطك من (علبة الكبريت) فى حريقٍ متسعّر ؛ وما قَدْرُ (علبة الكبريت) ؟ فلو كانت السرقة جاموسة ما لقيتُ أكثر من ذلك ؛ يا ليتنى إذن ... ولكنى لا أزال صغيراً ، فمتى كبرْتُ ... آه متى كبرْتُ . . »

وبدأ القانونُ عملَه فى الغلام ؛ فطرد منه الطفلَ وأقرّ فيه المجرم

* * *

وأطرقَ « عبد الرحمن » هادئاً ساكناً ، وقامت فى نفسه محكمةٌ من الأبالسة ، بقضاتها ونيابتها ، يجادل بعضُهم بعضاً ، ويداولون بينهم أمرَ هذا الغلام على وجهٍ آخر

وقال شيطان منهم : « ولكنا نخشى أمرين : أحدهما أن (الاصلاحية) ستُخرجه بعد سنتين شريفاً يحترف ؛ والثانى أن الناس ربما تولّوه بالتربية والتعليم فى المدارس رحمةً وشفقة ، فيخرج شريفاً يحترف »

وما أسرع ما نفى الخوف عنهم قولُ الغلام نفسِه بلهجة فيها الحقد والغيظ ، وقد صفّعه الجندىُّ الذى يقودهم الى السجن – : « ودا كلّه على شان علبة كبريت . . . ؟ »

.. ..

.. ..

فى سنة ١٩٣٤ قضتْ محكمة الجنايات بالموت شنقاً على قاتلٍ مجرمٍ خبيثٍ ، عيّارٍ متشطّر ، اسمُه « عبد الرحمن عبد الرحيم » . . ؟

مصطفى صادق الرافعي

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

صحائف من العشرين

لشاعر الحب والجمال (لامرتين)

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

والقصة قطعة من شباب لامرتين ، وجذوة من شعوره ، ولحن من شعره . طبعتها لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة أنيقة منقحة رخيصة فاطلبها منها أو من ادارة الرسالة أو من أى مكتبة

هنا وهناك

حمـــاية التفكير

وتكريم النبوغ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

نقرأ تباعاً أنباء الجوائز العلمية أو الأدبية أو الفنية التي تمنحها المؤسسات والهيئات العلمية المختلفة لأقطاب رجال التفكير والآداب والفنون ؛ وهناك غير الجوائز المحلية القومية التي تنظم في كل أمة لتشجيع الحركة الفكرية ، جوائز عالمية ترمي الى تشجيع أبدع ما يخرج الذهن البشري في أي البلاد أو الأمم ؛ ولعل جوائز « نوبل » هي أشهر جوائز من هذا النوع ، فهي تمنح الى أقطاب العلم والأدب والسياسة في أنحاء العالم دون فارق بين الجنسية أو الدين أو اللغة ، ثم هي تمنح للنساء كما تمنح للرجال ؛ وهذا هو أبدع ما في هذه الجوائز ، فهي تقصد الى تكريم النبوغ البشري حيث يوجد ، وهي ترتفع فوق جميع الاعتبارات القومية ، ولا تنظر إلا الى أفق الانسانية الشاسع . ولقد خلد ألفرد نوبل السويدي ، صاحب هذه الوصية العلمية والانسانية الجليلة ، اسمه بتأسيسها وتنظيمها بما لم يخلده فاتح ؛ والواقع أنه لم يكن ينقص هذا المخترع العبقري شيء من بعد الصيت والذكرى ، فقد كان عالماً ومخترعاً عظيماً : له ثبت حافل من الاختراعات العظيمة ؛ وقد كان لتجاربه واكتشافاته في أواخر القرن الماضي أثر عظيم في تقدم الفنون العسكرية ولا سيما فيما يتعلق « بالديناميت » الذي وصل إلى اكتشافه وتركيبه . ومن الغريب أن يتجه هذا الذهن الذي أنفق نبوغه في اختراع المفرقعات المهلكة ، الى تشجيع النبوغ البشري في مختلف نواحي التفكير والآداب ، وأغرب منه أن يتجه الى تشجيع السلام العالمي ، فيخصص ضمن جوائزه الشهيرة جائزة لأية جماعة أو شخصية تمتاز بخدماتها الجليلة لقضية السلام

وليست جوائز نوبل سوى مثل من أمثلة لا تحصى لهذا النظام المحمود — نظام الجوائز العلمية — الذي ترتبه جميع الأمم المتمدنة لتشجيع الحركة الفكرية ، وتكريم أبنائها الممتازين بسمو التفكير والابتكار ، ومعاونة الأذهان والعبقريات المغمورة على الظهور والعمل لاستثمار كفاياتها ومواهبها في مختلف النواحي . ولنلاحظ أن هذه الجوائز الشهيرة إنما هي من وضع فرد فقط ، وأن كثيراً من الأغنياء في بلاد الغرب يحذون مثل الفرد نوبل فيهبون الألوف والملايين الى الجامعات والجماعات العلمية والأدبية ؛ ويرتبون الجوائز لتشجيع الباحثين والمفكرين ، وإظهار جهودهم ، وثمرات نبوغهم ؛ وفي كل يوم نقرأ نبأ هذه الهبات والجوائز السنية ، ونهتز اعجاباً واكباراً لهذه النفوس والهمم الرفيعة التي تجد مثلها الأعلى في العمل على تشجيع المثل العليا ، ولا تنظر الى المال إلا كوسيلة لأذكاء النبوغ واستثماره لخير العلم والانسانية . وفي هذه الأمم التي يتقدم أغنياؤها للاضطلاع بهذه الأعمال الجليلة نجد الحكومات والهيئات العلمية الرسمية تعنى أشد العناية بذل هذا التشجيع المنظم للدرس والبحث والنبوغ ؛ ففي الجامعات ترتب جوائز دائمة لنوابغ الطلاب ، فضلاً عن إعفائهم من أجور الدراسة ، وترتب جوائز دورية مختلفة لتشجيع البحوث والجهود العلمية الممتازة ؛ ولا تكاد توجد هيئة علمية أو أدبية ، إلا ولها جوائز دورية ثابتة تمنح لكل عامل لتحقيق الأغراض العلمية أو الأدبية التي رتبت لتشجيعها . وأمامنا مثل الجمعيات الطبية والجغرافية والتاريخية في مختلف العواصم الغربية ، فانها جميعاً تبذل من المعاونات المادية في سبيل البحث والدرس والاستكشاف ما هو معروف ومشهور ؛ ويكفي أن نذكر أن معظم الاكتشافات العلمية والطبية والجغرافية ، تمت تحت رعاية هذه الهيئات المحترمة . بل يكفي أن نذكر أن معظم العلماء والمكتشفين لا يستطيعون القيام بمشروعاتهم الا بمؤازرتها المادية ، وأنها هي التي أوفدت في العصر الحديث معظم المكتشفين الى مختلف مجاهل أفريقية وآسيا والقطبين

والخلاصة أن الهيئات الرسمية والخاصة في هذه الأمم العظيمة ، تتحد جميعاً في مؤازرة الحركة العلمية ، وتشجيع التفكير والنبوغ بجميع الوسائل . على أن أبدع ما في هذه النزعة ، هو الجهود الخاصة والفردية ؛ وليس مثل الفرد نوبل وحيداً ، وان كان من أعظم الأمثلة وأبدعها ؛ فهنالك في فرنسا مثلا مشروع جائزة

« چونكور » الذى وضعه الكاتب الفرنسى أدمون چونكور لتتويج الآثار الأدبية البارزة ؛ وقد وهب المشروع مالا كثيراً ، وما زالت « أكاديمية چونكور » منذ أواخر القرن الماضى تمنح جوائزها الأدبية للكتاب والقصصيين النابهين ، عاماً بعد عام ؛ وما زالت تعتبر شرفاً أدبياً يطمع الفائزين بطابع النبوغ ، ولا سيما كتاب الشباب ، ويفتح أمامهم أبواب المستقبل الذهبى ؛ وهنالك أيضاً أمثلة عديدة لهذه الجهود والمنشآت الفردية ، كما أن هنالك صحفاً كثيرة تنشئ مثل هذه الجوائز الأدبية ؛ ولهذه الجهود المتحدة بلا ريب أثرها القوى فى تقدم الحركة الأدبية وازدهارها فى هذه الأمم

أما نحن فلم نعرف بعد أهمية هذه المؤازرة العلمية ، ولم تأخذ بها إلى اليوم جماعاتنا العلمية الرسمية ؛ ولم يسعفها بعد أغنياؤنا . فوزارة المعارف لم تفسح فى ميزانيتها أى مجال لمثل هذه المؤازرة ، لأنها لا تريد على مايظهر أن تضطلع برعاية الحركة الفكرية العامة ، وتريد أن تقتصر دائماً على شئونها الأدارية ؛ ولدينا جامعة دينية عظيمة ولها ميزانية ضخمة ، ولكننا لم نسمع أنها تقدمت ذات يوم لمؤازرة أى مجهود علمى حتى فى دائرة مهمتها الدينية ، فلم تساهم قط فى تشجيع المباحث الاسلامية التى تنفق فى سبيلها الجامعات الأوربية مئات الألوف تحقيقاً لمهمتها العلمية ، ولم تساهم قط فى إخراج أى أثر دينى أو عربى جامع ؛ ولم نسمع أنها رتبت جائزة علمية محترمة ؛ ولدينا الجامعة المصرية مازالت تحتفظ بأفقها المدرسى ، وما زالت بعيدة عن أن تخلق ذلك الجو العلمى الذى يمكن أى تنضوى تحت لوائه الجهود العلمية الفردية ؛ ولم نعرف أن الجامعة ساهمت فى تشجيع مجهود علمى فردى ، ولا نعلم أنها على استعداد لذلك ؛ كذلك لم تعرف الجامعة المصرية بعد نظام الجوائز العلمية والأدبية المحترمة ، وإن كانت تعرف كيف تغدق على الأساتذة الأجانب ؛ ولدينا عدة جمعيات علمية تتمتع بالرعاية الرسمية وبأموال الدولة ، ولكنها جميعاً أجنبية فى روحها وعواطفها ، ولا يمكن أن تعتبر بحال ما مصرية ، ولا يمكن أن تضطلع بمثل هذه المهام العلمية المحلية ، التى يجب أن تتوفر لمؤازرتها عاطفة قومية لا توجد فى هذه الجماعات

على أن هناك لدى جهاتنا الرسمية نزعة أخرى إلى تشجيع الجهود «العلمية» لا يمكن تجاهلها ، ولكنها مع الأسف وقف على الأجانب ؛ ونستطيع أن نحصى عشرات العلماء الأجانب الذين يفوزون بتعضيد الهيئات الرسمية المصرية للقيام بمختلف المهام العلمية أو لأخراج جهودهم ، وهم لا يجدون مشقة فى الحصول على هذه الهبات والجوائز السنية ؛ ولكنك لا تجد مفكراً مصرياً استطاع أن يحظى بهذه الرعاية . ولا ريب أن تشجيع الجهود العلمية مبدأ محمود فى ذاته ، والعلم لا وطن له ؛ ولكنه لا يقتضى الأيثار وحرمان المفكرين المصريين من كل تعضيد ومعاونة ، بينما يرتع العلماء الأجانب فى أموال الأمة المصرية ؛ وما زلنا نذكر الضجة التى قامت منذ أشهر حول المنح المالية الباهظة التى أغدقت على أستاذ انكليزى هو الكبتن كرزويل ، لكى يخرج كتاباً له ولم يخرج منه سوى مجلد واحد ، وكان مجموع الهبات التى استولى عليها من مختلف الجهات الرسمية يبلغ بضعة آلاف جنيه ؛ وهنالك علماء أجانب يتقاضون الألوف المؤلفة من الأموال المصرية لكى يضعوا كتباً معينة ؛ وتطلع علينا هذه الكتب من آن لآخر باللغات الأجنبية ، فلا نراها ترتفع الى مستوى المؤلفات العلمية القيمة ، ولا نرى فيها سوى كتب دعاية ينقصها الطابع العلمى المحترم ؛ وما زلنا نذكر تلك البدعة التى ظهرت فى الأعوام الأخيرة ، وهى انتداب بعض الجهات الرسمية لبعض العلماء الأجانب الذين يؤمون مصر فى الشتاء زائرين متنزهين ، لألقاء بعض المحاضرات ، ومنحهم عن المحاضرة الواحدة مكافآت باهظة تبلغ أحياناً خمسين جنيهاً !

* * *

لقد كانت الرعاية العامة وما زالت أكبر عامل فى تشجيع الحركات الفكرية وازدهارها . ومع أن قسطاً كبيراً من هذه الرعاية تضطلع به الهيئات الخاصة والأفراد النابهون فى الأمم الحية ، فان الحكومات والجامعات وما اليها من الهيئات العلمية الرسمية تقوم بتنظيم هذه الرعاية والسهر على توزيعها حيثما تبزغ بوادر النبوغ . ذلك أن النبوغ يعتبر فى الأمم الحية ثروة قومية تجب المحافظة عليها واستثمارها وحمايتها من عوامل الخمول واليأس . ولقد مرت عصور كثيرة فى تاريخنا كانت الحركة الفكرية فيها تأخذ حظها من الرعاية والمؤازرة ؛ وكان العلماء

والمفكرون يتبوأون أرفع مكانة وتتدفق عليهم المنح والهبات الوفيرة لكي يتفتح نبوغهم ويستطيعون العمل في دعة وسكينة؛ وكان الخلفاء والسلاطين يأخذون بأعظم قسط في تشجيع الحركات الأدبية، وكان من بواعث الفخر أن يكون القصر أو العاصمة ملاذاً لأكبر عدد من الكتاب والشعراء؛ وكان من زينة العصر والدولة دائماً أن تزدهر الحركات الفكرية في ظل الرعاية الرسمية؛ وهاهو ذا الأزهر لم يعاونه على الحياة حتى عصرنا سوى التفات السلاطين اليه وتعهد علمائه وطلبته بالبذل والعون. ولم يكن الملق، دائماً، كما هو الشأن في أيامنا ثمن هذه الرعاية. ذلك أن رعاية العلم والعلماء في تلك العصور كانت تعتبر من واجبات الدولة القوية المستنيرة، وكان العلماء يعملون في ظل هذه الرعاية مستقلين في الغالب، ولم يكن يطلب اليهم دائماً أن يكونوا أذناباً أو دعاة للأسر أو الحكومات التي تشملهم برعاية يعتبرونها حقاً عاماً لهم يجب تأديته اليهم.

ومن العبث أن ندعى أن الحكومات والهيئات الرسمية المصرية المختلفة قد استطاعت أن تؤدى هذا الواجب العام أو بعضه نحو رعاية الحركات الفكرية في عصرنا. والحركة الفكرية لم تفد شيئاً من تلك الدعايات الواسعة التي تذاع حولها، وتلك المنشآت العقيمة التي تقام باسمها، والتي يراد أن تكون هياكل فقط تمجد العصر وتنسب اليه؛ وما نخشاه هو أن الجهات الرسمية ما زالت بعيدة عن تقدير هذا الواجب، بعيدة عن تأديته. إن النبوغ في مصر ما زال يعني الفقر والبؤس، إذا لم يوفق من تلقاء نفسه الى الخروج من غمرة الظلمات والصعاب التي ينشأ فيها؛ بل نستطيع أن نقول أكثر من ذلك، هو أن النبوغ يعتبر في مصر أحياناً خطراً يخشى منه ويجب اتقاؤه؛ وعندئذ يشترى لا ليعضد ويزدهر، بل لكي يسكت ويقبر. أما أغنياؤنا فلن نطمع أن نجد بينهم واحداً يقدر واجباً لا تقدره الحكومة؛ ومن المحال أن يروا مثلهم الأعلى في رجال كالفرد نوبل يرون ذخر الانسانية في صون التفكير الانساني، والارتفاع به الى ذرى التقدير والاجلال؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

الشيخ الخالدى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لقيت في الآستانة منذ خمس سنين شيخاً جليلاً ينقب عن الكتب، ويتحدث عن نوادرها، وعرفت أنه الشيخ خليل الخالدى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس

ثم شرفت بلقائه في مصر مرات. كان كلما قدم القاهرة تفضل فزارني في الجامعة. تقابلنا مرة فتكلم عن الكتب والمؤلفين كلام خبير بحاثة. فحرصت على لقائه والافادة منه فراعني علم لا ينفد، وحفظ لا يخطئ

يبدأ حديثه عن الكتب، فيذكر أنه رأى كتاب كذا في مكتبة كذا، ويصف النسخة وما عليها من سماع العلماء، ثم يتكلم عن قيمة الكتاب ومكانته بين أشباهه، ويذكر المؤلف فيبين عن تاريخه ومكانته من العلم، ودرجته بين العلماء، وهلم جرا. يفضي من حديث إلى حديث، والسامع فرح بما يسمع، معجب متعجب. وقد زار مكاتب الآستانة والأناطول وفينا والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، ونقب فيها عن نفائس الكتب، فأحاط بما لم يحط به سواه. والشيخ حفظه الله منقطع النظير في هذا الموضوع ما رأيت ولا سمعت بمثله

وهو من أسرة الخالدى إحدى أسر الشام العظيمة، تنتسب إلى سيدنا خالد بن الوليد. وهي معروفة في التاريخ بأسرة الديرى، وفيها العلماء والقضاة في الشام ومصر منذ خمسمائة وخمسين سنة

والشيخ نزيل القاهرة الآن. وقد أسعدني الجد بلقائه مرات في شعبان ورمضان هنا. وأرجو أن أسعد أنا وأصدقائي بحديثه مرات أخرى قبل رجوعه الى فلسطين

وقد حرصت أن أكتب عن الشيخ بعض أحاديثه دون أن أشعره بذلك، فلما اجتمعنا في حلوان ليلة السبت ثامن رمضان، سأله بعض الحاضرين سؤالاً فشرع في حديثه، فدونت بعض ما قاله إجمالاً، ثم عدت إليه بعد انفضاض المجلس ففصلته على قدر ما وعيت. وإني أقدم للقارئ هنا ما حفظته عن الشيخ العلامة في ذلك المجلس:

سأل أحد الحاضرين عن المدارس ذات المكانة في التاريخ الأسلامي فقال: المدارس النظامية كانت في بغداد والموصل، وأصفهان ونيسابور، ومرو وهراة، وكان في نيسابور ستات المدارس: منها المدرسة البيهقية. ومدرسة ضياء الدين في سمرقند، وكان يقيم بها صاحب الهداية وشمس الدين الكردلي صاحب مناقب أبي حنيفة، ومدرسة الأمير مسعود في بخارى، ومدرسة قطلغ تيمور في خورزام، وهذه البلاد التي ذكرت كانت من مراكز العلم، ومثلها بخارى وبلخ وفرغانة وجرجان، وكان ببخارى من معاهد العلم مسجد كوكلتاش ومسجد كلام، ومن

الشيخ خليل الخالدي في قصر بني عباد بأشبيلية سنة ١٣٥١ هـ

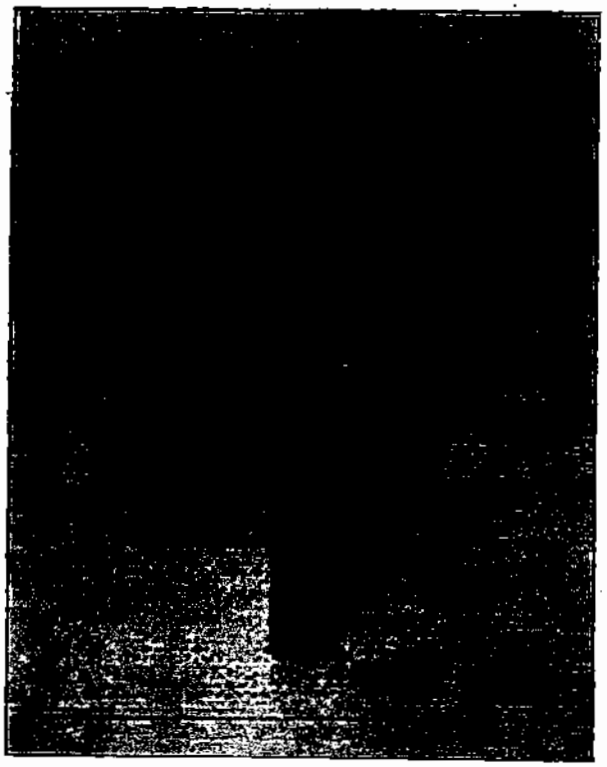

رجال مرو: القفال الكبير والقفال الصغير، ومشايخ امام الحرمين والبغوى، والسمعانى، وابن حنبل. وكان بدمشق مدارس كثيرة، منها العمرية التي أنشأها أبو عمر بن قدامة. وهو أخو الموفق أخو قدامة صاحب كتاب المغنى في مذهب الحنابلة، وهو اثنا عشر مجلداً. ومنها المدرسة الضيائية، وكان بها خطوط المحدثين كلهم. وهي منسوبة الى ضياء الدين المقدسي ابن أخت أبي عمر بن قدامة. وقد تخرج فيها ابن تيمية والذهبي، ومن مدارس دمشق دار الحديث الأشرفية، وهي دار التحف العربي الآن. وقد درّس بها النووى وابن الصلاح وأبو شامة، والمدرسة العادلية، وقد درس بها ابن مالك وابن خلكان، والمدرسة الرواحية التي تخرج فيها النووى، وصاوت الآن من دور آل الغزى. والمدرسة التي درس بها ابن القيّم، وهي بقرب بيت العظم. وكانت بيوت العلم في الشام بني قدامة، وبني تيمية، وبني عساكر، وبني عبد الهادى، وهؤلاء من مشايخ الذهبي

ثم انتقل الحديث الى الفخر الرازى، فقال في أثناء كلامه: إن الرازى من بني أبي بكر الصديق، فتعجب الحاضرون، فقال: ومن ذرية الصديق أيضاً جلال الدين الداونى، وعضد الدين صاحب العقائد، وأبو اسحق الشيرازى، والفيروز آبادى، قلتُ وجلال الدين الرومى. قال: نعم وجلال الدين، وأين جلال الدين من هؤلاء، قلت: لكل وجهة، ثم سئل الشيخ عن بني عمر بن الخطاب في العلماء فقال: منهم السهرورديون من المتصوفة، ومنهم القبّري. وكان في بخارى جماعة منهم. وكان تيمورلنك يجلهم كل الأجلال، قال: وصدر الشريعة من بني عبادة ابن الصامت، وليس كل من نشأ في بلاد الفرس فارسياً، فأبو داوود السجستاني، والترمذى صاحب الشمائل، والترمذى صاحب السنن، وابن عبد البرّ، كل هؤلاء من العرب، والحاكم أبو عبد الله النيسابورى من بني ضبة، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو القاسم صاحب الرسالة القشيرية من بني قشير، والمازرى، وابن يونس الصقلي، وعبد الحق الصقلي الذي غلب إمام الحرمين في المناظرة، من بني تميم، والقاضي عياض من يحصب

ثم ساقه الحديث الى القطب الشيرازى العلّامة المطلق، وفخر الأسلام البزدوى وصدر الشريعة، فأفاض في الحديث. وقال: لفخر الأسلام البزدوى كتاب في الأصول منقطع النظير، حدّث شمس الدين الأصفهاني شارح الطوالع أنه دخل على أستاذه القطب الشيرازى فرأى عنده كراسات على وسادة، فقال ما هذه؟ قال: إني منذ سنة كذا أقرأ كتاب البزدوى، وأنقل عنه وما أنهيته. ولصدر الشريعة كتاب تعديل العلوم في المنطق والحكمة والكلام والتصوف والأخلاق. رأيت منه نسخاً كثيرة. وله كتاب التنقيح وشرحه التوضيح

سأل سائل لماذا قلّ أمثال هؤلاء العلماء بين المسلمين اليوم ؟ قال لذلك أسباب : منها أن أسلافنا كانوا يطلبون العلم للعلم لا يبغون من ورائه شهادة ولا منصباً ؛ كان كل منهم يتخذ عملاً يعيش منه ثم يحصل العلم عن جهاً بذته . ولم تكن أساليب التعليم صناعية آلية كنظام المدارس في الوقت الحاضر ؛ ومن الأسباب انقطاع الرحلة ، كان سلفنا يشدون الرحال في طلب العلم لا يفترون ، فيلقى بعضهم بعضاً ، ويأخذ بعضهم عن بعض . الخ . انظر إلى قضاة السلف كيف كانوا يفرّون من القضاء إشفاقاً على دينهم ؟ . هذا أبو علي الصدفي أحد قضاة الأندلس ذبح الذبائح وحج شكراً لله على خلاصه من القضاء . ومن القضاة الأباة عظماء النفس ، أهل التقوى أبو بكر بن السليم القاضي الأندلسي ، وله رأي في الفقه معروف : «أن الانسان إذا اشترى بيتاً فوجد به بقّاً فله خيار العيب» ومنهم ابن زرب القاضي ، وكان في عهد المنصور بن أبي عامر . وحسبك بقاض يتعاظم على مثل المنصور . وله كتاب الخصال الكبير والخصال الصغير في مذهب مالك ، رأيتهما في مجريط . وقد قيل إن من قرأ الخصال استغنى به عن الكتب الأخرى ، وكان الأندلسيون ذوي همة عظيمة في تحصيل العلم ؛ كان طلابهم يبدأون بحفظ التسهيل لابن مالك ، ومختصري ابن الحاجب في الفقه والأصول ، هذا عند المتأخرين . وأما من قبلهم فكانوا يحفظون الموطأ ، ومن قبل هؤلاء كانوا يحفظون تهذيب المدونة ، وسلفهم كانوا يحفظون المدونة ، وكان ابن بشكوال يحفظها كلها ، وكان الرازي يحفظ كتاب الشامل لأمام الحرمين ، وهو مجلدان في علم الكلام . وأرى أن تفوق الأندلسيين كان من عنايتهم بأمهات الكتب . كانوا يقرأون في النحو كتاب سيبويه ، وأين من كتاب سيبويه كتاب الأشموني وحاشية الصبان ؟ وقد رأيت في مكتبة الأسكوريال خط أبي علي الشلوبين على كتاب سيبويه يعدّ الكتب التي قرأها في النحو وكلها من الأمهات . ورأيت في مكتبة كوبريلي بالآستانة اجازة قاضيخان كتبها بخطه على السير الكبير للسرخسي وعدد الكتب التي درسها في الفقه . وهي كتب تضمن لقارئها التفقه . أنظر ! أهل الأزهر يقرأون في الأصول جمع الجوامع ، وليس هو من كتب الأصول القيّمة . — قال بعض الحاضرين : قرأوا كتاب الآمدي في عهد الشيخ المراغي ثم أبطلوه ، فقال كتاب الآمدي جيد ، وللآمدي كتابان : إحكام الأحكام ، وأبكار الأفكار . وكتاب ابن الحاجب في الأصول مأخوذ من منتهى السول والأمل للأرموي ، وهذا مأخوذ من كتاب الآمدي ، والآمدي أخذ من الأدلة القواطع للسمعاني ، وهذا مأخوذ من كتاب الباقلاني ؛ فهذا الأصل الذي لم يؤخذ من غيره . ثم تكلم عن أصول الحنفية وعلمائهم وكتبهم وطريقتهم ، ورجع إلى الباقلاني فقال : وكان الباقلاني آية من آيات الله . وقد روى أبو الوليد الباجي أنه كان يسير مع الدار قطني — والدارقطني من كبار المحدثين ، في درجة الترمذي وابن ماجه — فلقيا رجلاً ، فأعظمه الدارقطني غاية الأعظام وقبّله ، فقال أبو الوليد : من هذا ؟ قال : سيف أهل السنة أبو بكر بن الطيب ، يعني الباقلاني ، وقد رثاه بعض الناس فقال :

انظر الى جبل تمشي الرجال به ... وانظر الى القبر ما يحوي من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام منغمداً ... وانظر الى درة الاسلام في الصدف

وكان الباقلاني يناظر ابن العلم فيفحمه . وكان ابن العلم يوماً في أصحابه فأقبل الباقلاني ، فقال ابن العلم : جاءكم الشيطان ، فسمعها الباقلاني فتلا قوله تعالى : ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّاً . وتناظرا مرة ، فلما أفحم ابن العلم أخرج قبضة من الباقلي ورماها في وجه الباقلاني ، يعني بذلك أنه ابن بائع باقلي . فأخرج الباقلاني درّة من ثيابه ورمى بها ابن العلم يعني أنه ابن معلم صبيان ، فتعجب وقال : ما أخبرت أحداً أني سأرميه بالباقلي ، فكيف أعدّ لي هذه الدرة ؟ — وعقائد الدواني مأخوذة من عيون المسائل ، وهذه مأخوذة من رءوس المسائل ، وكلاهما للجرجاني ، ورءوس المسائل مأخوذة من جواهر الكلام لعضد الدين صاحب المواقف ، والجواهر من المواقف ، والمواقف مأخوذة من أبكار الأفكار للآمدي ، وهذه عن الباقلاني ، وهذا كما ترى في فقه المالكية : كتاب أقرب المسالك للشيخ الدردير مأخوذ من كتاب خليل ، وهذا عن كتاب ابن الحاجب عن تهذيب البرادعي عن المدونة . وقد رأيت نسخة من المدونة في مكتبة القرويين في فاس بخط عبد الملك بن مسرة شيخ ابن رشد ، وهي في ثمانين مجلداً صغيراً ، وكُتب في نهايتها :

بالله يا قارىء استغفر لمن كتبا ... فقد كفتك يداه النسخ والتعبا
كتبه عبد الملك بن مسرة اليحصبي.

وقد ذكر ابن مسرة ابن فرحون في كتاب الديباج وهو من

تطور الحركة العقلية

فى شمال أفريقية

للكاتب المستشرق جاستون بوتول

نشرت مجلة « الأخبار الأدبية » (النوفيل لتريز) فى عددها الأخير مقالاً للكاتب المستشرق جاستون بوتول عن الحركة العقلية فى شمال أفريقية هذه ترجمته :

كلما أوغلنا فى التاريخ أدركنا أن تونس أو بعبارة أخرى أن تونس — قرطاجنة المعقدة كانت دائماً عقل أفريقية الشمالية. وإنه لقدر غريب : قدر هذه المدينة ، التى كأنها سارية القارة ، والتى هى الحد الفاصل بين شرق البحر الأبيض المتوسط وبين غربه ؛ ولقد كانت دائماً طريق الفتوح العظيمة ، كما كانت مجمع الطرق التجارية الكبرى ؛ وهى أقصى بلد فى شمال أفريقية وأقربها إلى أوربا ، ولكنها أقربها إلى الشرق أيضاً ؛ ثم هى أعرقها فى الطابع الأفريقى ، لأن السهول الصحراوية التى تفصلها عن البحر فى الجهات الأخرى حواجز عالية ، تمتد بلا انقطاع إلى تونس ؛ وأخيراً هى المدينة التى كانت تلتقى فيها النزعات العقلية وتمتزج من جميع الأنحاء

كانت قرطاجنة فى الوقت الذى كانت روما تصارع فيه ما حولها من الظلمات ، قد قامت برسالة عظيمة فى المدنية ، واكتشفت غرب البحر الأبيض والبرتغال وساحل أفريقية الغربى . ثم غدت قرطاجنة بعد الحروب البونيقية المدينة الثانية فى العالم الرومانى ؛ ولما أتمت مراحلها الثلاث أعنى البونيقية ، والرومانية ، ثم النصرانية ، دخلت تونس فى مرحلتها الاسلامية ، وسرعان ما تفوقت على القيروان وغدت مرة أخرى أهم مراكز الحركة العقلية فى المغرب . ولم يكسفها قط بهاء فاس المحدث ، ولبثت تونس هى المركز الذى تزدهر فيه العلوم والفلسفة العربية لآخر مرة ، وكان ابن خلدون ، فى فجر الأحياء ، آخر ثمارها العظيمة

أما اليوم فان الموقف أكثر تعقداً ؛ وعلى رغم ازدهار جامعة الجزائر ، ونجاح معهد الدراسات العالية المراكشى فى رباط وتقدمه نحو التحول الى شبه جامعة ، فان تونس تبقى مركز التفكير الاسلامى فى شمال افريقية . ويكفى لتوضيح خطر هذا الدور أن نقول إن المسلمين يبلغون اليوم فى المغرب أكثر من اثنى عشر مليونا ، ولكن لا توجد بقعة أخرى غير تونس يزداد عددهم فيها نحو خمسين ألفا كل عام

ويرجع هذا النفوذ الى عاملين : الأول أنه يوجد فى تونس أهم وأقدم جامعة عربية ، والثانى أنه يوجد بها أكبر عدد من صفوة المسلمين الذين تلقوا الثقافة الفرنسية . وصحف تونس العربية ، والصحفيون التونسيون هم الذين يوجهون الحركات السياسية والعقلية فى الجزائر ومراكش . ومن تونس تخرج الأزياء ، وتخرج القصص والغناء ، وفيها تتألف الفرق التمثيلية أو الموسيقية التى تجوس خلال المغرب

ويضاف الى نفوذ جامعة الزيتونة القديمة ، التى تأخذ اليوم بأسباب التجديد ، نفوذ « الخلدونية » وهى مركز للدراسات التاريخية والعلمية ؛ وقد أسست منذ ثلاثين عاماً على يد بعض التونسيين ، وكلية الصادقى ، وهى معهد غريب تدرس فيه العلوم الحديثة واللغتان الفرنسية والعربية . وقد عقد فى اكتوبر الماضى مؤتمر من الطلبة المسلمين فى شمال افريقية

وفى ذلك ما يوضح الدور الهام الذى تؤديه تونس فى المسائل الاجتماعية التى تعرض فى شمال افريقية . ومن العسير أن نحدد

أنفس الكتب . وابن رشد الجد له كتاب البيان والتحصيل فى الفقه ستة عشر مجلداً . وقد ضمن لقارئه الاجتهاد . وابن رشد الحفيد الفيلسوف كان فى المغرب بمنزلة الرازى فى المشرق

ثم تكلم عن محنة ابن رشد فى دولة الموحدين وقال : والسلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن كان من العلماء ، كان يحفظ كتاب المحلى لابن حزم — سأل بعض الحاضرين عن رسالة صلاح الدين الى يعقوب بن يوسف فقال هى فى كتاب أبى شامة . وكان أبو شامة حافظاً وقارئاً ونحوياً وعالماً فى الأصول والفروع . ويشبهه فى هذا أبو عمرو الدانى . قال بعض الحاضرين هل كانا متعاصرين ؟ قال لا ، أبو شامة توفى سنة ٦٢٢ والدانى توفى سنة ٤٤٤ . الخ الخ . ولعلنا نعود فندون عنه مجلساً آخر

عبد الوهاب عزام

نزعات الأجيال الفتية في هذه البلاد ؛ ويختلف عدد الشباب المثقف وتوزيعه كثيراً في هذه المناطق ؛ وأظهر هذه النزعات وأشدها تعرضاً للخلافات الظاهرة هي النزعة السياسية ، ولكن هذه الخلافات ترجع دائماً الى ظروف السياسة المحلية ، فهي مؤقتة في الواقع ، فمثلاً كان التونسيون يشكون من إقصائهم عن بعض الادارات ، فلما تقرر منذ أشهر أن يسمح لهم بدخولها انتهت هذه الشكوى

اما النتائج الثابتة ، فهي نتائج التطور العقلي ؛ وهي أهمها أيضاً ، لأنها تتعلق بالمستقبل ، ولا تتقدم إلا ببطء ، ولا يمكن تعديلها أو توجيهها بقوانين الشرع . وقد يستطيع المشرع أن ينتهز بعض الفرص السانحة في حرص وحذر ، ولكن الاختيار النهائي يبقى لأصحاب الشأن أنفسهم

ويوجد في فاس ، كما يوجد في الجزائر وقسطنطينة شباب يتلمس ويتساءل . وقد عفت التقاليد التي كانت تسمح للشباب بأن يندمجوا في الحياة بسهولة ؛ وأضحت لا تلائم الحياة الحديثة ، وعرضت حاجات جديدة ومطالب جديدة ؛ ولكن الشمار الجديد هو أن تبحث وتجد . ويتجه معظم الشباب على الأخص بانظارهم الى تونس ، لأنهم يعرفون أنهم هنالك يتكونون شيئاً فشيئاً بين الأمل والتثبيط

ولهذا ، وعلى الرغم من أن تونس ليست إلا قطعة صغيرة من شمال افريقية ، فانه يجب أن نتتبع بمنتهى الاهتمام نمو ذوق المجتمع التونسي العقلي ؛ وهو اهتمام يجب أن يقرن بالعطف ، لأن هذا المجتمع هو الذي يحمل أعباء التعقيد وأزمات الضمير ، وما يترتب حتماً على مثل هذا التطور النفسي الهام من أسباب الجزع والاضطراب ؛ ومن هذا المجتمع وحده يمكن أن يأتي حل المسائل الاجتماعية الشائكة التي تعرض للبحث ، وليس من ريب في أن الموقف الذي يتخذه هذا المجتمع يكون ذا أثر قوى في باقي أنحاء البلاد

ونستطيع أن نتكهن بشيء من المستقبل ؛ فقد أثبتت الطبقة المتوسطة التونسية إمكان التطور المتناسق في ظل أفق فرنسي ؛ وقد ظهر فيها مجموعة من الكتاب والمؤرخين والعلماء والصحفيين الذين يكتبون بالفرنسية ؛ ونجد حتى في ظروف الأسرة ، وفي الظروف الاجتماعية ، ما يدل على تسرب الحياة الحديثة بقوة ، وهي حركة اختيارية لأنها تسير حرة دون ضغط ما ، وبعد تأمل عميق

ونستطيع أيضاً أن نقرأ في أمثلة يقدمها لنا الماضي مبلغ التعاون بين المسلمين والنصارى ، فعلى مقربة من تونس وقعت الحالة الأولى والوحيدة في العصر الحديث للتعاون بين هؤلاء وأولئك ؛ ومن الغريب أن ممثلي هذه التجربة العظيمة كانوا فرنسيين وتونسيين ؛ ففي مملكة النورمان الصقلية التي يعمرها سلالة الفاتحين الأغالبة ، ازدهرت أعظم حضارة في العصر ، واشترك في إنشائها النورمان والمسلمون ، وكانت بالرم يومئذ هي أعظم مجمع بين الشرق والغرب ؛ وكان نجاح هذا التعاون الحر الذي تطاول زهاء قرن ، أشنع فضيحة في العصر ، في نظر المتعصبين من الجانبين

وقد استطاعت العبقرية الفرنسية أن تنشئ في العصور الوسطى مجمعاً شديد التناقض من حضارتين خصيمتين في كل مكان ؛ واليوم إذ نستعرض ذلك المركز الذي حققته لنا تونس القديمة ، نجد أمامنا جامعة الزيتونة الموقرة — وهي قديمة قدم السوربون — ذات الحنايا الرمزية الجليلة ، تحيط بها حوانيت الكتب والعطور ؛ ثم نجد مكتبة عظيمة فرنسية على الأخص ، أقيمت في قصر قديم ؛ ثم نجد بعد ذلك فوق مرتفع يشرف على المدينة كلية الصادق الواسعة التي أخرجت نخبة مختارة من المثقفين العرب ، الذين استقوا أيضاً من الثقافة الفرنسية . وعندئذ نتذكر تلك القدمة التي يهدي فيها الشريف الأدريسي أثره الجغرافي الخالد الى الملك رجار (روجر) الذي عاش الأدريسي في بلاطه ، والتي تبدو فيها ألوان هذا التعاون الذي قام بينهما

هذه كلها أدلة مادية على قيام تعاون عقلي واضح تقوم به الصفوة ، وإنه ليقع على عاتق المفكرين والجامعة أن يخلقوا تلك البيئة التي تتطور فيها عادة الحيلة المشتركة ، الى رغبة في الحياة المشتركة

جاستون برنول

(الرسالة) ترجمنا هذا المقال ليطلع قراؤنا على رأي العلماء الفرنسيين في الحركة العقلية في شمال أفريقية ؛ ولسنا نوافق الأستاذ بونول على بعض آرائه ، وعلى الأخص في أثر الثقافة الفرنسية في تونس . والمقصود بشمال أفريقية في هذا المقال هو البلاد الغربية التي تسيطر عليها فرنسا : أعني تونس والجزائر والمغرب الأقصى . فان من المعلوم أن مصر لا تدخل تحت هذه التسمية ، ولم ينصرف اليها هذا التعبير في أي عصر من العصور

ليلة حافلة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

منذ نحو ربع قرن — فقد صرنا نحسب مسافات الزمن بأرباع القرون ! — مات لنا قريب شاب ، أبوه من سراة الريف ، فرافقنا رفاقه على قطار خاص الى البلدة . وكانت العادة في تلك الأيام أن يظل الماتم قائماً أسبوعاً أو أربعين يوماً ، وكنت يومئذ مدرساً ، وكان الوقت صيفاً ، والمدارس موصدة ، ففي وسعي أن أشاطر القوم حزنهم الى آخر المدى ، فجاءني يوماً شاب من أقربائي ، وانتحى بي ناحية وأسر الي أن أخته تكاد تموت جوعاً ، فعجبت ، فان الخير كثير والطعام وفير ، وما يذبح كل يوم من الخراف والعجول يكفي جيشاً . فأخبرني أن الموائد توضع ثم ترفع كما هي ، لا تمتد الى ما عليها يد ، وأن أخته تستحي أن تتناول شيئاً ، ولكن نساء البيت بعد ذلك يتسللن الى حجرة قصية فيقبلن على الطعام ويلتهمن منه مالا يحسب الحاسب ، فهن يمكن عن المطعم علانية ويمترن منه سراً ، وأخته تنظر وتتحسر ، وقد التوت أمعاؤها من الجوع . ثم سألني :

« والآن ما الرأي ؟ أشر كيف تأمر ! »

فقلت له : « دع هذا لي »

وللشباب جمحاته وحماقاته — ركبت الى مدينة قريبة ، فاشتريت شيئاً من الرقاق الملفوف باللحم ، ومربى ، وألواناً من الحلواء ، وأرغفة ، وعدت وأنا أقول لنفسي : « هذا شيء ينفعها إذا نام الليل » ، ولم يكن من السهل أن أدخل البيت ومعي هذا الحمل ، تحت عيون هذا الخلق كله ، وماذا عساي أن أقول إذا سألني سائل عما لُف عليه الورق ؟ لهذا اضطررت أن ألف ، وأدور ، وأختبيء هنا وههنا ، حتى تيسر لي أن أبلغ غرفتي من غير أن يراني أحد ، وبقي أن أنتظر حتى يقبل الليل ، وتنقطع الرجل ، فأحمل هذه الربطة الى حريم الدار ، والله المسئول أن يوفقني الى الوصول الى قرينتنا الطاوية ، وأن يقيني عواقب هذه المجازفة ! وهل أعدم خادمة تدعوها الي أو تحمل اليها هذه الرسالة

وجاء الليل ، وقمنا إلى المخادع ، وكان لي في غرفتي شريك ،

فذهبت أدخن سيجارة بعد سيجارة ، حتى علا شخيره ، ففتحت الباب وأرهفت أذني ، فلم أسمع شيئاً ، فتوكلت على الله ، وأقدمت — أعني مشيت مترفقاً حتى خرجت من هذا البناء المُهَيّأ للضيوف ، إلى صحن واسع يفصل حريم الدار عن ثوي الرجال . وكان الليل طاخياً ، فلم أزل أتخبط حتى لمست باباً توهمته باب المنزل فدخلت ، ولكني لم أجد سلماً أرقى فيه ، فاستغربت ورحت أدور بالمكان ، ويدي على الجدار ، فكنت أجد أبواباً ، بعضها مفتوح ، والبعض مُوارَبٌ أو مغلق ، ولكن لا مرقاة ، فقلت أخرج من هذا التيه ، وتركت الجدار واندفعت ، ويداي أمامي لتتلقيا عني الصدمة إذا بلغت حائطاً أو شبهه ، وإذا باللفافة التي معي تلمس جسماً فيسقط منه شيء على الأرض فأفزع ، وأدع اللفافة تهوي ، ثم إذا بواحد يهجم علي فأقع وتتدحرج معاً على البلاط ، وهو ممسك برجلي يريد أن ينزعها ، وأنا أدفع في بطنه ، حتى تخلى عن رجلي فدرت على ركبتي ، وقد أيقنت من صمته أنه غريب واغل يتلصص ، وألفيت يدي على عنقه ، فأخذت بخنقه ، فلكمني بجمع يده فانقلبت على ظهري وقد تخليت عن رقبته ، فانقض علي ، فضربت برجلي فأصبت جنبه ، فمال عني فهضت على ركبتي وجعلت أضرب بيدي ، ولكن في الهواء ، حتى لمست رأسه فقبضت على شعره وجذبت بكل ما في من قوة ، فنطحني في بطني ، فانثنى بعضي على بعض ، فركلني برجله ، فتدحرجت كالكرة . فماذا يريد أن يجهز علي ، فأخطأني وخبط الباب برأسه فكأن قنبلة انفجرت في سكون الليل ، وإذا بصوت رجل يصيح :

« مين . . ؟ »

ثم انقطع الصوت ، لأن صاحبه على ما يظهر داس بعض الطعام الذي تبعثر في المكان ، فتزحلق فوقع على الأرض كالحجر ، وكنت أنا قد نهضت ، ولمست يدي باباً ففتحته ودخلت ، وأنا أسوي شعري وأمسح وجهي وأنفض التراب عن ثوبي ، وكانت هذه لحسن الحظ غرفتي ، فقد سمعت شريكي فيها يقول وهو يثب عن السرير

« ما هذه الأصوات ! ماذا جرى ؟ »

فقلت — وقد ارتدت الي نفسي — « لا أدري . . . يظهر ان هنا لصاً ، قم لننظر »

فصاح : « لص ؟ » وأسرع الى الشباك فنادى

« ياولد ! يا مخيمر ! يا مخيمر ! »

وفتحت الأبواب ، وأطلت منها رءوس النوّام — أو الذين كانوا نوّاما — وكثر اللغط ، وعلت الضجة ، واختلطت الأصوات ، وصار هذا يسأل عن الخبر ، وذاك يدعو مخيمر وغيره ممن نسيت أسماءهم من الخدم ، وثالث يصيح أن هاتوا نوراً ، ورابع يقول أين المصباح ؟ وخامس يسأل محتجاً « أليس مع أحدكم عود ثقاب ؟ »

وفي أثناء ذلك كان الذي وقع قد لامس خده المربى التي انكسر وعاؤها فسالت ، فلم يخالجه شك في أن قتلا حصل وأن هذا دم القتيل ، فكاد يموت من الرعب ، ولزم مكانه ولم يحاول حتى أن يرفع خده عن المربى ، وجاء مخيمر يحمل بندقيته ، ووراءه كثيرون غيره ، وفي يد أحدهم مصباح ، تقدم به — في حماية البندقية — وإذا بنا نرى « وكيل » صاحب البيت ، مطروحاً على وجهه ، ويداه ممدودتان ، وخده لاصق بالمربى ، وهو يرفع رأسه وينظر محاذراً ، ثم كأنما اطمأن قليلاً فجعل يطرف ، ويدير عينه ، فيبصر الوعاء وما سال منه ، فيمسح بعضه عن خده وهو ينهض ، فتجمعنا جوله وحففنا به ، وجعل بعضنا ينظر الى بعض مستغرباً متأففاً ، منكراً على هذا « الوكيل » الشره ، ألا يكون له همٌّ سوى بطنه ، وأن يزعجنا في لحمة الليل بهرشه ومحاولته أخفاء ما يأكل

ونظر إليه صاحب البيت نظرة سخط واشمئزاز ، وقال له :

« ماهذا ؟ مربّى ، ورقوق ، لم أكن أعرف انك مبطانٌ نهمٌ الى هذا الحد ؟ ؟ وقليل الذوق أيضاً ! حلواء في مأتم ! فهلا انتظرت حتى ينفض المأتم ؟ ؟ أم شامت أنت بي ؟ لعنة الله عليك وعلى والديك ! قم . . . قبحك الله ! ولا ترني وجهك ! »

فهمّ الرجل بأن يقول شيئاً ، فقد كان مظلوماً ولا ذنب له ، ولكن سيده أبى أن يسمع والتفت إلينا وقال :

« إن هذه فضيحة والله ! الخير كثير والحمد لله ، وفي وسعه أن يأكل ما شاء ، ويشبع ، اذا كان يمكن أن يشبع ، فانظروا ماذا صنع ؟ وبأي شيء يجزيني وقد رعيته وكفلته ولم أزل به حتى جعلته وكيلاً لي . وأميناً على أملاكي ! ! يشتري حلواء ومربى ورقاقاً ليأكلها خفية في مأتم ابني ! ! اخرجن يا كلب ! ولك وجه تقابلني به يا كافر النعمة ! والله لولا أنك حقير لأفرغت في قلبك الآن الرصاص . امش . . اخرج من عندي . . »

فقلت : « شيء فظيع ! »

وارتددت إلى غرفتي ساخطاً

* * *

ولبثنا ساعة نمزق أديم هذا الوكيل الشره الجحود الذي يأبى إلا أن يأكل حلواء في مأتم ابن سيده ! وأصبح الصباح فاستأنفت ألسنتنا هجوه وذمه . وكنت أشعر بعطف عليه ورثية له ، ولكني لم أكن أستطيع أن أذكر الحقيقة فأحوّل الى نفسي كل هذا اللعن الذي ينصب على رأسه . ودنا مني الشاب قريبي الذي كان سبباً في كل هذا ، وسألني همساً : « أتعرف حقيقة ما حصل أمس ؟ »

قلت : « لا . ولا أزال مستغرباً ما كان من هذا الوكيل »

قال : « إنه مظلوم ! »

قلت : « يا شيخ ! كيف يمكن أن يكون مظلوماً وقد رأيناه بأعيننا ؟ »

قال : « والله إنه لمظلوم ! »

قلت : « ربما يا أخي ! العلم عند الله ! »

قال : « فينا من يكتم السر ؟ »

قلت : « لا تخف . إن صدري بئر لاقرار لها »

قال : لقد احتلت حتى جئت بشيء من اللحم والخبز ، ولففته في ورقة ، وكنت أريد أن أصعد به الى أختي بالليل ، ولكني اصطدمت في الظلام بواحد كأن يريد أن يقتلني . . . »

فقلت مستغرباً : « يقتلك ؟ لماذا ! »

قال : لا شك أن هذا كان قصده ، فقد كان همه أن يقبض على عنقي ويضغط ، وكان يحرص على الصمت حرصاً شديداً ، وعندي دليل آخر : ذلك أنه لم يكد يسمع صوت الوكيل يصيح « مين » حتى اختفى فجأة ! »

فسألته : « وماذا منعك أن تستنجد ؟ »

قال : « وأفضح نفسي ؟ ماذا يقولون عني إذا رأوا مني هذه الأطعمة ؟ لقد كان كل همي أن أتخلص وأرتد الى غرفتي

قلت : « وكيف خطرت لك هذه الفكرة السخيفة ؟ »

قال : « ليست سخيفة . إنها طبيعية ، أول مايخطر للمرء »

قلت : «وهل كان من الضروري أن تجيء عربي وحلواء ؟»

قال : لم أجيء بها . وهذا هو اللغز الذي يحيرني . »

قلت : فمن أين جاءت إذن ؟ الوكيل طبعاً ! »

قال : « لا أصدق . لقد كان خارجاً من غرفتي لينظر ما الخبر »

قلت : « صحيح . الحق معك »

قال : إذن من أين جاءت ؟ »

فصحت به : « وهل أنا أعرف ؟ ألا يكفي فزعنا بالليل حتى تحطم لي رأسي بالنهار ؟ »

فاعتذر ومضى عني

وسعى الوكيل بعد أيام أن يسترضي سيده

والغريب أن قريبي نسي أني وعدته أن أنقد أخته ، ولو تذكر لعرف من أين جاءت المربى والرقاق ، ولأدرك أن الذي اشتجر معه في الظلام لم يكن قاتلاً متربصاً ، وإنما كان قريبه

ابراهيم عبد القادر المازني

الحكم الأدبي

بقلم السيد محمد توفيق

لا تختلف الآراء وتتشعب المذاهب اختلافها وتشعبها في الآثار الأدبية ، فهذا يرضى عن قطعة أدبية يضيق بها الآخر ، وذاك يعجب بمعاني قصيدة يراها غيره مرذولة . . . ومن العسير أن ترجع بخالفك في مسألة فنية عن رأيه ما دام يستطيع إلى الدفاع عنه سبيلاً . ولا عاب في هذا ، إنما العاب في ألا يخلص الناقد للحقيقة في بحثه ، وينبذ مع الهوى في رأيه

وليس من شك في أن للوهم أثراً بيناً في الأحكام الأدبية ، فالكاتب الذي يرفعه المجد إلى مرتبة الشهرة يستجيد جل الناس ما يصدر عنه ، إن جيداً وإن رديئاً ، ولا يكادون يستمعون لاعتراض معترض عليه أو لنقد ناقد له ، بينما المغمور يلاقي من عنت الناس وإرهاقهم الشيء الكثير . بل ندر أن يخرج الأديب من غمرة المجتمع ويحتل مركباً بارزاً فيه بغير يد مشهور يقدمه إلى الجمهور بصوته المسموع ، بعد أن ينثر عليه درر المدح ويكسوه حلل التقريظ . . ومن أوضح الأمثلة لهذا ما لقيه الكاتب الكبير جولدسمث ، فقد ذاق البؤس أعواماً مكث فيها يعرض آثاره الأدبية القيمة والناس يعرضون عنها حتى ألف قصته التمثيلية البارعة « تمكنت فتمكنت » She Stoops to Conquet وصار يقدمها إلى مديري المسارح وهم يرفضونها الى أن أيده الله بزعيم الأدب في عصره الدكتور جونسون ، فعرضها عرضاً جميلاً وأثنى عليها بالذي هي أهله ، فكان تمثيلها وإعجاب الجمهور بها واستمرار عرضها أياماً عدة ، وبدأ ظهور نجم جولدسمث ، وكان هذا رداً قوياً على بعض مشاهير الكتاب السكسونيين الذاهبين الى أن الانسان سيد نفسه وليس للمقادير بحكم فيه . . .

ولعل إمام البيان الجاحظ كان يرى هذا الرأي حينما نصح لمن يريد مزاولة الأدب أن يعرض ثمرة عقله على العلماء « في عرض رسائل أو أشعار أو خطب » لمشاهير أهل البيان ، فان رأى الأسماع تصغى له والعيون تحدج إليه ، علم أنه ذو موهبة أدبية واستمر في سبيل الأدب وإلا انصرف عنه إلى غيره مما تراح له طبيعته ، ولا تشق عليه مزاولته . نعم كان الجاحظ يرى أن للوهم تأثيراً في الحكم الأدبي ، وإن لم يوفق الى طريقة سديدة يختبر بها الناشيء في الأدب نفسه ، فان الوهم الذي يصرف العلماء عن الحكم له لحوله هو بعينه الذي سيصرفهم عن الحكم على غيره لشهرته ، وكان الأولى أن يرشده الجاحظ إلى هذا الناقد الذي يتجرد من المحاباة وينظر الى ما يقال لا إلى من يقول ، ولا يحكم سوى عقله الصائب وخبرته الأدبية

ولكن الجاحظ الذي أخفق في هذا الموضع — وما أقل ما يخفق ! — كاد يدلنا على هذا الناقد الذي يصح أن يعتمد عليه ، ويركن في الأحكام الأدبية اليه ، حينما تعرض لشرح موقف الجمهور — في المفاضلة بين بليغين[1] فذكر ان الناس في هذا ثلاثة رجال : رجل يعطي كلامهما من التعظيم والتبجيل على قدر مالهما في نفسه وموقعهما من قلبه ، ورجل يتهم نفسه فيسرف في اتهام من يعظمه خشية أن تكون منزلته عنده قد خدعته في أمره ، فالأول يزيد في حقه لما له في نفسه ، والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه . أما الذي في استطاعته أن يقدر المعاني حق قدرها ويعطي للأشياء قيمتها الحقيقية فهو العالم الحكيم المعتدل المزاج القوي

(١) ج ١ ص ٧٦ — البيان والتبيين

المتة الوثيق العقدة الذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر

ولكن هل العلم وقوة المنة ، والتجرد من الوهم هى كل شىء فى الحكم الأدبى ؟ أو بعبارة أخرى ، هل من تتحقق لهم هذه الصفات تتشابه أحكامهم الأدبية ، ولا تتباين آراؤهم الفنية ؟

الحق أن هناك عوامل أخرى تعمل فى تكوين الحكم الأدبى ، وبقدر وجودها كاملة أو منقوصة تكون قوة الأحكام الأدبية وضعفها وهى : —

أولا : الاستعداد الذاتى — فهناك فضائل فى الانسان يصح اعتبارها مواهب فطرية ، كخصب القريحة وصفاء الذهن ودقة النظر ومرونة الطبع . فمن المؤكد أن بعض العقول تستفيد أو يظهر أنها تستفيد فى أيامها الأولى أكثر من غيرها ، كما يظهر أنها أكثر انتباهاً ويقظة ، وأحفظ لما تستفيد من الجزئيات ، وأقدر على تكوين كل منها ، وعلى حفظها متفرقة كما هى ، ثم أقدر على تهيىء أنفسها للاجابة على مطالب الوجود الجديدة والحكم على المسائل المستحدثة ، وآية أن هذه الصفات فطرية لا اكتسابية هو أنها قد تتهيأ للتعلم كما قد تتهيأ للأمى ، وقد يحظى بها الهمل كما قد يحظى بها المثقف ، ولكن لا ننس أن هذا الاستعداد ليس صفة ثابتة كصلابة المعدن مثلاً ، بل يعظم بالمران حتى أنه فى استطاعة صاحب الاستعداد تقوية استعداده الى درجة كبيرة تضؤل بجانبها حاله الأولى

ثانياً : النقل بأوسع معانيه — فقل من يستفيد من شعوره وتفكيره الذاتيين ، ولكن معظم الناس يستفيد خبرته ممن حوله ، وهذا النقل يبتدىء مع الانسان من يوم ميلاده ، حتى إن علماء التربية ذهبوا الى أن الطفل يتعلم عن طريق حاسة اللمس فى أيامه الأولى . ويروى صامول سميلز Samuel Smiles « أن أماً سألت قساً عن الوقت المناسب لتربية طفلها الذى كان عمره حينئذ أربع سنين فأجابها : « لقد فقدت هذه السنين إن كنت لما تبتدئى فى تربيته »

ولكن الواقع أن تربيته قد بدأت بالفعل ، وإن توهمت أمه غير ذلك ، فالطفل يتعلم بالمحاكاة البسيطة ، وهذا التكوين الأولى لخلق الطفل يلازمه طيلة حياته . ومن هنا صح قول ملتون milton « الطفولة عنوان الرجولة كما أن الصبح عنوان النهار » ويقوى هذا النقل ويعظم بالتربية المدرسية والاطلاع على أحوال الأجيال الغابرة ، وتعرف الآداب الماضية والحاضرة

وهذا العامل مع ما سبقه فى تنازع مستمر وتجاذب دائم وهذا التنازع هو الذى يفرق بين الناس ، فمنهم ضعيف الاستعداد الذاتى ، مستسلم لما ينقل لا يرى رأياً جديداً ، ومنهم ناقد لما يختار وقلما يرى رأى غيره ، ولا يراه إلا بعد تدقيق وتمحيص . وعامل النقل ظاهر الأثر فى الحكم الأدبى ، فرأى القارىء فى قصيدة مثلا مرتبط بكيفية معرفته المعانى البرقية المتعددة لكلماتها وتصورها ، وبكيفية ائتلاف هذه المعانى فى ذهنه ، وبالحد الذى تضبط اليه خبرته الذاتية العامة المعنى المركب الذى ألفته هذه المعانى الجزئية . وهكذا فما يأتى فى ذهن القارىء نتيجة مجموعة مبهمة من التأثيرات الخارجية

ثالثاً : سلامة الفكر أو النزاهة — وهذه الصفة هى التى تجعل الحكم محكماً وتربط بين العقول ، أو بعبارة جامعة تجعلنا انسانيين . وأصدق التعاريف لها هو « تقدير كل الاحتمالات الممكنة ، وعدم ترجيح أحدها إلا بمرجح » فأى قصيدة مثلا تقدم نفسها الينا على أنها محتملة معانى كثيرة ، وهذه الاحتمالات ميادين صالحة للمران العقلى ، وقد يؤثر بعضها فى بعض ، وما دامت هذه الاحتمالات تنال نصيباً من عنايتنا فان أحكامنا تكون نسبياً فى مأمن من الزلل ، ونحن حين نفرض كل الاحتمالات الممكنة نكون أكمل فى معنى الانسانية البعيدة عن التحيز منا حين نستبد بفرض واحد بعينه ثم نلتمس له البراهين . ثم الرأى القائم على النزاهة لا يكاد يتسرب اليه الوهن ، لأننا قبل الأخذ به نفند ما عداه من الآراء

رابعاً : فهم صاحب الأثر المنقود — وهذا يكون بتعرف خلقه وما فيه من لين وقسوة وقوة وضعف . فأدب القوة ينتجه أديب قوى ، وأدب الضعف ينتجه أديب ضعيف ، ولا عيب على كل منهما من الناحية الأدبية ، فما عيب من يصدر عنه ما يمثل نفسه ؟ أما أن يطابق الأدب المثل العليا أو لا يطابقها فهذه مرتبة ثانية

والأمة التى تريد أدباً قوياً ، عليها أن تعمل على تكوين أدباء أقوياء ، وإلا كانت كمن يتطلب فى الماء جذوة نار . . . ثم لا بد مع هذا من قراءة أعظم قدر من بيان الأديب المنقود ، حتى يألف الناقد أسلوبه فى التفكير وطريقته فى الأداء

ولكن لسوء الحظ ينسى الكثيرون هذه العوامل فيتوهمون

توماس كارليل

نظره الى التاريخ

للأستاذ محمود محمد

« ليس التاريخ العام فى روحه ومغزاه — تاريخ ما أحدث الانسان فى هذا العالم — إلا تاريخ عظماء الرجال الذين ظهروا فى هذه الدنيا ، فقد كانوا أئمة ، وكانوا مثلاً وكانوا قدوة لغيرهم ، بل كانوا مبدعين لكل ما مارس الانسان من أعمال ، وكل ما حقق من أمانى . إن كل ما نراه قائماً فى هذا الوجود كاملا متقناً إنما هو نتيجة مادية محسوسة ، وتحقيق عملى مجسم لكل ما جال فى رؤوس أولئك الرجال من أفكار ، أولئك الرجال الذين هبطوا الى هذا الوجود فكان تاريخهم بحق هو لحمة التاريخ وسداه »

بهذه العبارة يفتتح كارليل كتابه « الأبطال وعبادة البطولة » فيلخص لنا نظريته فى التاريخ . يرى كارليل أن الفرد هو كل شىء ، وأن قادة الشعوب هم خالقوها ومكيفوها ، يؤثر الفرد فى الجماعة ولا يتأثر بها . والبطولة فى نظره تتقمص فى فحول الرجال على صور شتى ؛ فالرسول والشاعر والكاتب والمصلح والفيلسوف كل هؤلاء من طينة واحدة ، ليس بينهم من خلاف ، اللهم الا فى الهيئة التى يكتسون والأسلوب الذى ينتحون « ويصح لنا أن نعتبر أمثال هؤلاء الرجال من فصيلة فوق البشر ، فصيلة غير آدمية ، فكلهم رسول مبعوث الينا برسالة خاصة من الأبدية المجهولة ، من الحقائق الباطنة للأشياء ، لا تحجبها عنه أباطيل الناس ، وكيف ذلك والحقيقة تسطع على عينيه حتى يكاد يعشى لنورها ... الرجل العظيم مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون ، وهو جزء من الحقائق الأولية للأشياء » لا تعميه عن واجبه جهالة عصره أو نقص فى نفسه ؛ هو يرى الى الحقيقة الثابتة ، الى الحقيقة الحية . ومن هذا الحق يستمد قوته ، والى هذا الحق تصغى الجماهير ، رسالته أبدية مثمرة « وأعمال الرجال ! خبئها تحت رواسى الجبال ، أو فى أعشاش البوم ، فهى لا تموت ولن تموت »

ويرى كارليل أن الناس مسوقون بطبيعتهم الى عبادة البطولة « وأن الاعجاب بمن هم أعلى منا إدراكاً لأسمى شعور يتردد فى الصدور ، وليس روح الوجود وحياة الشعوب وكيان الجماعة الانسانية إلا خضوعا للعظماء وعبادة لأفكار العظماء »

وهذا الشعور كامن فى الانسان فى كل زمان ومكان حتى فى هذا العصر الحديث الذى تحاول فيه الانسانية أن تتخلص من سلطة الزعماء وتقيم الديمقراطية مكان الديكتاتورية كلما اتسع المجال وأتيحت الفرص

لم يكن كارليل مبتدعاً فى الرأى حين رفع البطولة الى هذا المقام وقدسها هذا التقديس ، فقد سبقه الى ذلك هيجل الفيلسوف الألمانى إذ كان يقول : إن وراء كل أمة أو عصر أو مدنية « فكرة » تسيرها . هذه الفكرة هى السمة الكبرى لذلك العصر أو تلك المدنية ، منها تتفرع واليها تنتهى جميع مناحى التفكير من فلسفة أو دين أو فن أو أخلاق . هذه « الفكرة » عند هيجل هى « روح البطولة » عند كارليل . ومن ثم نرى أن كارليل كان أشد وضوحاً وأدق تعبيراً من صاحبه الألمانى ، وقد

أنه ليس فى الموضوع شىء خارج عن ذات القصيدة الواحدة التى يقرأها القراء فيصورونها صوراً مختلفة ، ولكن الحق هو أن اختلافهم بالقياس إلى هذه العوامل هو سبب اختلافهم فى كل شىء ، حتى تفسير القصيدة وتعيين مدلولات مفرداتها فيه مجال واسع للاختلاف بين القراء تبعاً لاختلاف مؤهلاتهم الخاصة ، فمن قرأ كثيراً من شعر شاعر فهم ألفاظه فهماً مخالفاً لفهم من لم يقرأ له أو قرأ قليلا . وهكذا فكيفية فهم القارىء للقصيدة مثلا يتوقف على استعداده الذاتى وكيفية ترقيه ، وكيفية حيازته للمعانى الاجتماعية الموروثة والفرص التى تهيأت له لاستخدام هذه المعانى منسقة ، والبيئة التى نشأ فيها وحاكاها ، وتنازع استعداده الذاتى والنقل السيطرة على فكره وغلبة أحدهما للآخر ، وما يعرف من خلق صاحبها وشعره ، ولأن الحكم الأدبى يتوقف على هذا كله كان أكثر الأحكام تعرضاً للزلل وأقربها من الخطأ ووجب على من يتعرض له أن يحذر حذراً تاماً ؟

السيد محمد نوفل
بكلية الآداب

أراد أن يزيد وضوحاً ويتخلص من غموض « الفكرة » تماماً ، فجسد « روح البطولة » فى شخص « البطل » فانتقل بذلك من المعقول الى المحسوس ، ومن الفكرة المجردة الى الحقيقة الملموسة

ومع ذلك فان كارليل لم يتخلص من تجريد الفكرة تماماً فان هذا « البطل » ، هذا « الكائن الحى » الذى تتجسد فيه الفكرة هو فى ذاته معنى مجرد تتجمع فيه فروع الحياة الشتيتة . البطل فى نظر كارليل يمثل المدنية التى يعيش فيها ، ورأى البطل نبراس يهتدى به بنو عصره . فلو أردنا معرفة تاريخ عصر من العصور بحثنا عن زعيمه وقائده . ولا يريدنا كارليل فى دراسة هذا الزعيم أن ندرس تاريخ حياته ومجراها وإنما واجبنا أن نحلل آراءه ومعتقداته حتى نستطيع أن نفهم مدنية العصر الذى نشأ فيه بمظاهرها المختلفة ، لأن المدنية — كما كان يرى — كل لا يتجزأ لها مرمى واحد ومعنى واحد

روح البطولة هى رائد التاريخ ومنشأ المدنيات ، ومجدة الحياة الانسانية ، وما دامت كذلك منبع كل حركة فلا ينبغى أن نفهم التاريخ إلا عن طريقها وبوساطتها . ليضع علماء الاجتماع ماشاءوا من القواعد والقوانين ، وليضع رجال السياسة ما شاءوا من نظم ودساتير ، وليفرض علينا المؤرخون ما شاءوا من أسباب تسير هذا العالم ، فليس الانسان بكائن جامد تكيفه قاعدة ، ويعبر عنه بقانون ، وإنما هو روح حى يفكر ويشعر ويتأثر ، يخضع لافذاذ الرجال كلما ظهروا برغم كل قانون

وأحسن مثال يتمثل فيه بكل جلاء ، نظر كارليل للتاريخ كتابه عن « كرومويل » . أراد كارليل أن يؤرخ البيورتيانية ، فكتب عن كرومويل زعيمها الأكبر ، وحاول لواءها تاريخاً مفصلا تكاد حين تقرأه تسمع كلمات الرجل ونبرات صوته وتتخيل صورته ورسمه . يعرض عليك المؤلف صورة واضحة يضعها أمام ناظريك لتبلغ من قرارة نفسك بقدر ما فيها من قوة وتأثير ، ولا يفرض عليك رأياً بعينه ولا فكرة بذاتها ، يعرض عليك الحقيقة مجردة من غير تعليق ، فلا ترى المؤلف ولا أثراً من نفسه ، كان البيورتان يتطلعون الى إنشاء حكومة على دينهم ومبادئهم فوجدوا فى كرومويل الرجل الذى تتجسد فيه ميولهم واهواؤهم ، فوضعوه على رأس حكومتهم ورضوا به حاكما مستبداً ، ذلك لأن كرومويل بطل تتمثل فيه آراء جيل كامل وأمة بأسرها

كان كارليل يرى فى كرومويل مثلاً للبطولة الحق ، وينظر إلى الثورة الانجليزية التى قام بها نظرة الأعجاب ، لأنها كانت تقوم على أساس دينى متين ، ولكنا نجده فى كتابه عن « الثورة الفرنسية » لا ينظر بعين الرضا الى هذه الثورة لأنها لم تخضع لزعيم واحد يمثلها ويسير بها الى الأمام ، كما أن فلسفتها كانت فى صميمها غير دينية ، اندفع فيها الفرنسيون وراء غرائزهم الوحشية وعملوا على إشباع شهواتهم البهيمية واحلال الفوضى محل النظام

وظاهر أن كارليل لم يكن عادلا فى حكمه هذا . نعم كان فى الثورة الفرنسية كثير من الوحشية والهمجية ، ولكنا لا نستطيع أن ننكر أن فيها خيراً كثيراً ، وأنها وإن تكن ثورة غير دينية إلا أن الفلسفة التى كيفتها كانت تنطوى على كثير من المبادئ القديمة ، وإذا كانت الثورة الأنجليزية قد خدمت انجلترا فان الثورة الفرنسية قد خدمت العالم أجمع ، وما تزال تخدمه الى يومنا هذا

وكما انقلب كارليل على الثورة الفرنسية لخروجها على الدين ، فهو كذلك ثائر على انجلترا الحديثة لأهمالها هذا الجانب الهام فى حياتها العامة ، ثائر على هذه الديمقراطية الواسعة التى تفسح المجال لكل من هب ودب ليكون ذا رأى محترم وقول مسموع ، وليس من سبيل الى خلاص البلاد إلا بعد أن تسلم زمام أمورها لزعمائها غير منازعين

* * *

وهنا نقف عند هذا الحد من بسط آراء كارليل فى البطولة وأثرها فى التاريخ ونسائل أنفسنا : هل كان كارليل مصيباً حينما رفع أفذاذ الرجال الى هذا الحد من القوة وهذه المكانة من التقديس ؟

إن من يتصفح تاريخ الحياة وتقدمها يرى أن الانسانية فى كل عصورها تنقسم الى شطرين : رعية كبيرة وطائفة قليلة من الرعاة ، تدق هذه الرعية أمامها ، هؤلاء الرعاة هم أدوات التقدم الانسانى وهم عظماء الرجال الذين يمثلون الآداب والآراء التى هى على اختلافها وتباين فنونها ومنازعها بمثابة ظواهر اجتماعية أكثر منها ظواهر فردية ، أى إنها أثر من آثار الجماعة والبيئة أكثر من أن تكون أثراً من آثار الفرد الذى رآها ونشرها بين الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فليس من الحق فى شىء أن ننسى الجماعة التى هى المؤثر الأول فى ظهور الآداب والآراء والفلسفة ، ونقصر عنايتنا على الفرد الذى كان مظهراً لهذه الآداب وتلك الآراء فنمحو الجماعة محواً ونهملها إهمالاً ، إذ الفرد لم ينشىء نفسه وإنما الجماعة كلها متعاونة متضافرة على تنشيئه وتربية عقله وجسمه وشعوره ، فهو صورة منها وظاهرة من ظواهرها . الفرد مدين بلغته ودينه وخلقه الى الجماعة ، إذن فليس من البحث العلمى القيم فى شىء أن نقدس الأفراد كل هذا التقديس ونحتقر الجماعة كل هذا الاحتقار . وأنا لو صورنا لأنفسنا طائفة من أوساط الناس متوسطى الذكاء ليس لهم مواهب خاصة ولا عقلية ممتازة قد رحلوا الى جزيرة جرداء ليس فيها أثر من آثار المدنية ولا عمل من أعمال الانسان أدركنا بسهولة كيف يظهر سريعاً من بينهم المخترع والفيلسوف والسياسى والقائد ، ولا يلبثون أن يعيدوا فى خلال جيل أو جيلين تاريخ التقدم الانسانى كله ، ويصبح هؤلاء الأوساط صورة مصغرة من نيوتن ووطسن وكرومويل ونابليون وغيرهم ، لأنهم فى حياتهم الأولى كانت تعوزهم الفرصة التى أتاحتها لهم الجزيرة الجرداء ، فظهرت عبقرياتهم بعد أن كان مقضياً عليها بالموت والفناء

ويتبين لنا من هذا أن الانسانية لا تتقدم بظهور الرجال ، وإنما يظهر الرجال لأنها تريد أن تتقدم ، وفى علم الحياة نظرية ثابتة تقول إن الوظيفة تخلق العضو ولا يخلق العضو الوظيفة ، فالانسان لا يمشى لأن له قدمين ، وإنما له قدمان لأنه أراد أن يمشى ، ولا ينظر لأن له عينين ولكنه ذو عينين لأنه أراد أن ينظر.

ومن يتدبر التاريخ ير أن الانسانية تعتريها فترات من الجمود تعقبها النهضات التى تظهر فيها الشخصيات البارزة ، ولا تعال هذه الظاهرة إلا بأن الظروف الاجتماعية والزمنية فى فترات الجمود تخالف مثيلاتها فى فترات النهضات ، فالأولى لا تدعو إلى ظهور الرجال بينما الثانية تتطلب الرجال العاملين وتخلقهم خلقاً . فاذا صح لنا أن نقول إن النهضة أوجدت أبطالاً لا يصح أن نقول إن الأبطال أوجدوا النهضة

ولكن كارليل أراد أن ينزههم عن البشرية ويرفعهم الى مصاف الآلهة . . .

محمود محمود محمد

المشرف على اصدارها : اسماعيل القبانى

ضحايانا الأطفال

عرض ونقد لأحدث أساليب التربية والتعليم فى أمريكا

تعريب : محمد عبد الواحد خلاف

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
٩ شارع الكرداسى بعابدين
ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٠ عدا أجرة البريد

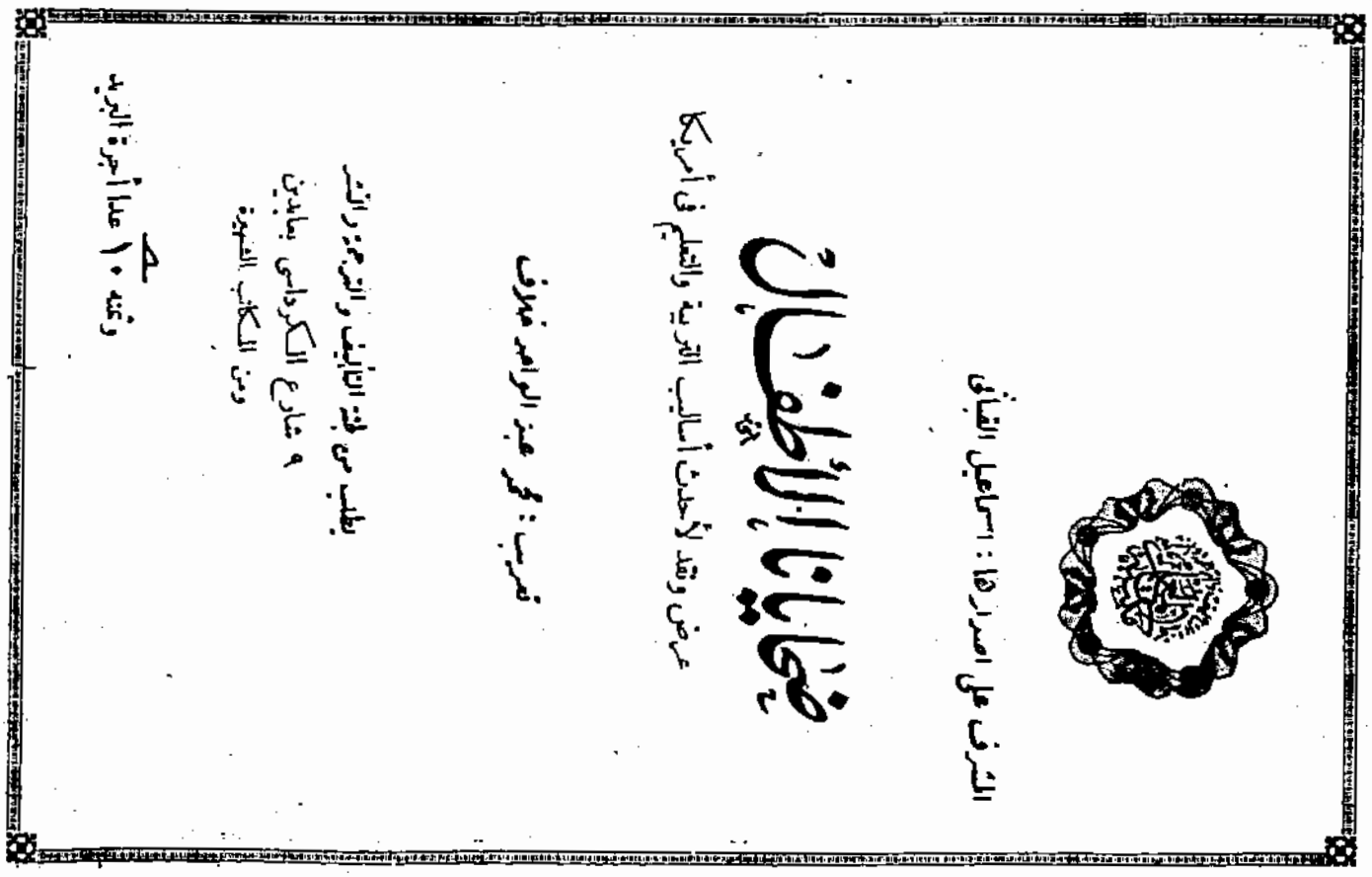

٦ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثانى

كريتون أو واجب المواطن (١)

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط ـ ماالذى أتى بك الساعة يا كريتون؟ إنها الآن جد باكرة

كريتون ـ بلى إنها لكذلك

سقراط ـ كم هى على التحديد ؟

كريتون ـ الفجر فى البزوغ

سقراط ـ عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول

كريتون ـ إنه يعرفنى يا سقراط لأننى جئت مراراً ، ولأننى فوق ذلك ذو فضل عليه

سقراط ـ أجئت الآن تواً ؟

كريتون ـ كلا بل جئت منذ حين

سقراط ـ إذن فما الذى أجلسك صامتاً ، وكان أخلق بك أن توقظنى على الفور ؟

كريتون ـ حقاً يا سقراط إنى لم أكن لأرضى لنفسى كل هذا الغم والأرق ، ولكنى أخذت بالعجب أن رأيتك فى نعاس هادئ ، فلم أرد لهذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيداً عن الأسى ، لقد عرفتك دائماً سعيداً بما لك من مزاج هادئ ، ولكنى لم أر الدهر ضريباً لك فى احتمالك لهذا المصاب مستخفاً باسماً

سقراط ـ إن الانسان يا كريتون إذا عمر ما عمرت فلا ينبغى له أن يجزع من شبح الموت

كريتون ـ ولكن سواك من الكهول ، إذا ما نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع

سقراط ـ قد يكون ذاك ، ولكن هلاّ حدثتنى عما أتى بك فى هذه الساعة الباكرة ؟

كريتون ـ أتيت أحمل نبأ مؤلماً يبعث على الشجن ، لا بالنسبة إليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعاً ـ نحن أصدقاءك ـ وهو عندى أبلغ ما يكون إيلاما

سقراط ـ ماذا؟ أحسب أن قد عادت السفينة من ديلوس(١) ووصولها نذير بموتى ؟

كريتون ـ كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ، ولكنها رغما وصلت اليوم ، فقد أنبأنى أناس جاءوا من صونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، وإذن فآخر يوم من حياتك يا سقراط هو الغد

سقراط ـ مرحى يا كريتون ، إن كانت هذه إرادة الله فمرحباً بها ، ولكنى أعتقد أن سيؤجل الأمر يوماً آخر

كريتون ـ ومن أنبأك هذا ؟

سقراط ـ هاك الخبر . إنى بالغ أجلى فى اليوم التالى لوصول السفينة

كريتون ـ نعم ، وهذا ما يرويه أولو الأمر

سقراط ـ ولكنى لا أظن السفينة بالغتنا إلا غداً . عرفت ذلك من رؤيا رأيتها ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن تواً ، حين تركتنى ـ لحسن حظى ـ نائماً

كريتون ـ وكيف كانت رؤياك تلك ؟

سقراط ـ جاءتنى شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تدثرت بثوب أبيض ، وصاحت بى قائلة : ياسقراط ، إنك ذاهب إلى أخراك فى اليوم الثالث غداً من الآن

---

(١) لا يعلم على وجه الدقة إن كان هذا الحوار قد وقع بهذا النص الذى أثبته أفلاطون أم اخترعه اختراعاً ، ومهما يكن من أمر فقد صور أفلاطون سقراط فى هذا الحوار ، لا فى ثوب الفيلسوف الذى يؤدى فى حياته رسالة الهية ، ولكن فى صورة ابن الوطن الصالح الذى يقبل على الموت رضى النفس مطمئن الضمير ، تنفيذاً لقوانين الدولة ، التى يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت فى قضائها جائرة كما هو الحال فى قضيته

(١) قد كان للأثينيين شهر حرام ، يمتنع فيه إعدام المجرمين ، وهو شهر كانت تمضى فيه سفينة مقدسة إلى معبد ديلوس ، ثم تعود ثانية ، فلم يكن يجوز أن ينفذ الموت فى احد من أبناء أثينا ما دامت تلك السفينة فى رحلتها تلك . ولذلك كان لا بد لسقراط بعد الحكم عليه أن يظل فى سجنه حتى تعود السفينة

كريتون ـ ما أعجبه من حلم ياسقراط !

سقراط ـ معناه ظاهر يا كريتون ، وليس فيه مجال للريب

كريتون ـ نعم إنه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه ! ياعزيزي سقراط ، دعني أتوسل اليك مرة أخرى ، أن تأخذ بنصحي فتعمد إلى الهروب ، لأنك إذا مت فان أفقد فيك صديقاً فريداً وكفى ، ولكن ثمت فوق ذلك شراً : سيزعم من لا يعرفك ولا يعرفني من الناس أني كنت أستطيع لك النجاة لو أني رغبت في بذل المال ، ولكنني لم أعبأ بك ، أفيمكن أن يكون بعد هذا العار عاراً ـ أن يقال إني آثرت المال على حياة صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأني أردتك على الفرار فرفضت

سقراط ـ وفيم العناية بحديث الدهماء ياعزيزي كريتون ؟ سترى الفئة العالمة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع ، وهي وحدها جديرة بالاعتبار (١)

كريتون ـ ولكنك ترى ياسقراط أن رأي الدهماء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائناً من كان

سقراط ـ ليتهم يستطيعون ذلك يا كريتون فذلك كل ما أرجوه ، إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلاً . ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيّروا الرجل حكيما أو فدماً ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة

كريتون ـ نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلاّ تفضلت فأنبأتني ياسقراط — إن كنت لا تغض النظر عني وعن سائر أصدقائك فيما تصرف من الأمر — : ألست تخشى أنك إن فررت من هذا المكان فقد يصيبنا الثامون بالضر بسبب اختطافك ، وإنا قد نفقد أملاكنا كلها أوجلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولاً ؟ فليطمئن قلبك إن كان ذلك ما تخشاه ، فواجب حتم علينا أن نخاطر بهذا ، وبما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ، فاقتنع إذن بما أقول ، وافعل بما أشير

سقراط ـ نعم يا كريتون ، وليس هذا الذي ذكرته كل ما أخشى ، وإن يكن جانباً منه

كريتون ـ لاتخف . إن هناك نفراً يود لو ينجيك فينتزعك من غياية السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططا ، أما الثامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليله . إن مالي بأسره رهن إشارتك ، وهو كاف فيما أعتقد ، فان أشفقت أن ينفد كله ، فهاهم أولاء نفر من الغرباء يعدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال . وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، إذن فلا تحسب لذلك حساباً ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار . ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لاتدري ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت ، فأني حللت نزلت من الناس منزلاً كريماً ، وليس أذلك قاصراً على أثينا ، فثمت في تساليا ستجد من أصدقائي حماية وتقديراً إن أحببت الذهاب اليهم ، ولن تصادف بين بني تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذى ؟ ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك ياسقراط أن تفرط في حياتك ، والنجاة ميسورة مستطاعة . إنك لتلعب بنفسك في أيدي أعدائك وقاتليك ، بل إني لأزعم فوق هذا أنك إنما تسيء الى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمت لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشيئهم وتربيتهم ، فان لم يصبهم ما يصيب اليتامى عادة من قضاء ، لما استحققت عندهم من الشكر إلا قليلاً ، فليس لانسان أن يقذف في العالم بأطفال لايحب أن يستميت حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم ، ولكنك تختار أيسر الأمرين ، فيما أظن ، لا أحسن الأمرين وألصقهما بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعاً . حقاً إني لأستحي منك بل من أنفسنا نحن أصدقاءك ، كلما دار بخلدي أن قصتك هذه جميعاً ، ستنسب الى نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحاكمة ، أو كان يجب أن تختم بغير ما اختتمت به ، وهذه النهاية التي أراها أسوأ العبث ، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً ، لما أبديناه من ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأي شيء نفعاً (إذ لم

(١) يعبر سقراط في هذا عن رأيه الذي أخذ به في حياته ، وهو ألا يعير رأي الناس التفاتا ، وألا يصغي إلا إلى ما يمليه العقل الحكيم دون سواه كائناً ما كان وقعه عند الناس

يكن الفرار أمراً عسيراً) وسيُظن بإسقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب علينا وعليك بؤساً وعاراً ، ففكر إذن فى الأمر إن لم تكن قد اعتزمت بعد شيئاً ، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك إلا أمر واحد يجب إنجازه هذا المساء ، لو كنت تريد له إنجازاً ، فان أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك يإسقراط أن تسلس لى القياد وأن تفعل بما به أشير

سقراط ـ أى عزيزى كريتون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان فى جانب الحق ، أما إن كان للباطل فكلما ازداد الحماس اشتعالاً ازداد الأمر سوءاً ، فلننظر إذن إن كانت هذه الأعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائماً ، وما أزال ، من تلك الطبائع التى تلتزم دليل العقل ، كائناً ما كان رأيه ، مادام يبدو عند التفكير أنه الرأي الأمثل . أما وقد أصابتنى هذه المحنة فلايسعنى أن أهمل الآن ما ارتأيته قبلاً ، فما زالت مبادئى التى طالما أجللتها وقدستها ؛ تنزل عندى منازل الاجلال والتقديس[1] . فثق أنى لن أظاهرك فى الرأى ، اللهم إلا إذا اهتدينا الآن إلى مبدإ يكون خيراً منها . نعم ، لن أصغى إليك حتى ولو زادنى الدهماء حبساً ومصادرة وموتاً ، ملقين فى نفوسنا من أراجيف الشياطين الفزعة ما نرهص به الأطفال ، فأى سبل التفكير أهدى إلى بحث هذا الموضوع ؟ أعَوْداً إلى رأيك الذى سُقته من قبل عما يقول الناس عنا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنا القول ؟ أكنا نصيب لو أننا أخذنا برأيك (وهو أن يقام وزن لما يقول الناس) قبل الحكم بالأدانة ؟ أم هل ينقلب الرأى الذى كان صائباً حيناً ما ، كلاماً لمجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن فى الواقع إلا عبثاً اتخذ سبيلاً للتسلية واللهو ؟ ابحث معى هذا يا كريتون : أترى أن لم يعد منطق الذى اتخذته أولاً يلائم على أية حال ما يكتنفنى الآن من ظروف ، أم لست ترى الأمر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندى بالرفض أم بالقبول ؟ إن كثيراً ممن يزعمون لأنفسهم رجاحة الرأى يذهبون فيما أعتقد إلى هذا الذى أشرت اليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضاً يجدر بآرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له . وأنك يا كريتون لست مقبلاً غداً على موت ، أو ليس هناك احتمال بشرى بهذا على الأقل ، فأنت إذن حَكَمٌ صالح ، لايؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق . حدثنى إذن : ألستُ مصيباً فيما أزعم ، بألا نقدر من آراء الناس إلا بعضها فقط ؟ لقد أخذتُ بهذا الرأى ، وأنا أسائلك هلاّ ترانى قد أصبت فيما ارتأيت ؟

كريتون ـ ليس فى ذلك ريب

سقراط ـ ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون شرارهم ؟

كريتون ـ بلى

سقراط ـ وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء فهو شر ؟

كريتون ـ لا شك فى ذلك

سقراط ـ لننظر ما قيل فى غير هذا الموضوع ، هل يطلب إلى طالب التمرينات البدنية أن يصغى إلى القدح والثناء ، والى رأى كل انسان فيه ، أم يجب أن يستمع الى رأى رجل واحد فقط — هو طبيبه أو مدربه كائناً من كان ؟

كريتون ـ إنه يستمع الى رأى رجل واحد فحسب

سقراط ـ أينبغى أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء يوجهه ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

كريتون ـ بدهى ما تقول

سقراط ـ ويجب أن يعيش ويُدَرِّب ، وأن يأكل ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحاً لذلك المعلم الأوحد ، وهو عليم بأمره ، فذلك أجدى من السير تبعاً لما يراه سوى معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

كريتون ـ هذا حق

(يتبع)

زكى نجيب محمود

(١) يشير سقراط بهذا الحديث إلى المحاورات الكثيرة التى عقدها هو وأصحابه قبل محاكمته حول ما يجب على الانسان من حيث علاقته بالمجتمع ، وكانوا قد انتهوا من تلك المحاورات إلى طائفة من المبادئ أقروها جميعا ، وخلاصتها أنه لا يجوز لانسان أن يفعل الشر ، أو أن يرد الشر بالشر ، أو أن ينقض الحق مهما كانت الظروف . فهو هنا لا يرضى لنفسه أن يهدم تلك المبادئ التى أقرها هو ومحاوروه بحجة أن ظروفه تقضى منه ذلك

زواج الشاعر

للأديب حسين شوقي

(س) شاعر شاب تزوج منذ عام بزوجة من الريف، لأنه كان يريد فتاة ساذجة طاهرة الجسم والعقل — وذلك ما يندر في المدن الكبرى — يستطيع أن يصوغها على ما يلائم ذوقه الفني، وما يتفق ومثله العليا . . .

عاد (س) بالفعل من الريف بالزوجة المنشودة، إلا أنه وجد من الصعوبة في تكوينها ما وجده آباؤنا في نحت الجرانيت؛ لأن الفتاة كانت ساذجة جداً . . ثم وجد مع الأسف أنها أقل علاقة من فتيات المدن وهي بنت الريف التي نشأت وترعرعت بين الحدائق والزهور . . فان حب الفتاة لشاعرنا كان حباً ضئيلاً جداً إذا قيس بحبه لها، لأن الشاعر احتفظ بطهارة قلبه طوال شبابه من أجل هذا اليوم المشهود (مع استثناء بعض جولات في النزل البريء) فكان ما به من احتياطي الحب قد يعادل ما في خزائن بنك فرنسا من احتياطي الذهب . . أما قلب الفتاة فكان أشبه بجليد « الأسكيمو » . . .

ولما كان (س) شديد الأحساس كمقياس الحرارة، فانه كان يتألم من الحركات والاشارات غير الموفقة التي كانت تأتيها زوجه كي تعطي حبها الضئيل له . . ولشدّ ما كان الشاعر شديد الاشفاق عليها من أجل هذا . . !

انقضى عام على زواج الشاعر، فخرج بهذه المناسبة الى الخلاء يشكو همه الى الأطيار والأزهار، أصدقاء الشاعر الحقيقيين . . .

جلس الشاعر هناك على بساط من الخضرة، ثم أخذ يستعيد في ذاكرته حياته الزوجية خلال العام المنصرم، فأحسّ من جرّاء ذلك بهم شديد وحزن بالغ . . فكم من حوادث محزنة وقعت خلال تلك السنة !

إنه ما زال يذكر مع الأسف والحسرة تلك الليلة التي اتفق فيها الزوجان على الذهاب الى المسرح ليشهدا رواية مشهورة . . إلا أن الزوج مرض في اللحظة الأخيرة، فقال عندئذ من باب المجاملة لزوجه، وقد ظن أنها ستبقى بجانبه لتمريضه وتسليته: اذا شئت فاذهبي أنت ياعزيزتي الى المسرح . . سأطلب م . . (صديق للشاعر) في التليفون ليأتي فيصطحبك . . ولشد ما كانت خيبة أمله كبيرة حينما أجابته: حسن . . سأذهب مع م . . بعد أن أقيس حرارتك لأطمئن عليك ! أرادت الزوجة بقولها هذا أن تظهر اهتمامها بجسمه . . . ولكن هل فكرت في قلب الشاعر المسكين ؟

وفي ليلة أخرى ذهب الزوجان الى حفلة رقص . . . فلما عزفت الموسيقى بلحن « الدانوب الأزرق الجميل » الذي كان الشاعر يحبه حباً جماً، ذهب من فوره الى حيث كانت تجلس زوجه ليطلب منها أن ترقص معه هذا الدور، فاعتذرت اليه لارتباطها بوعد سابق ! مع علمها بحب زوجها الشديد لهذا اللحن . . . وكان قد أهدى اليها قبل الذهاب الى الحفلة وردة بيضاء حلّت بها صدرها . . . فافتقدها أثناء الحفلة فلم يجدها على صدرها، فسأل عنها وقد ظن أنها سقطت منها أثناء الرقص، إلا أنها أجابته ببكل سذاجة: الوردة ؟ إن صديقتي البارونة ل . . أظهرت إعجابها بها فأعطيتها إياها ! كاد الشاعر يموت في تلك الليلة من الغم . . .

وفي مرة أخرى سافرت زوجه الى الريف تعود أمها وكانت مريضة مرضاً خطيراً . . ومكثت هناك أسبوعين لم ترسل اليه خلالها إلا كتابين قد احتويا على عواطف تشبه تلك العواطف الأنموذجية الموجودة في كتب « برليتز » للتمرين والترجمة ! . . وفي يوم عودتها من الريف، بدلاً من أن تقضي السهرة على انفراد مع زوجها بعد تلك الغيبة، دعت بعض الأصدقاء الى السينما لمشاهدة الممثلة جريتا جاربو في فلمها الأخير

بينما كان الشاعر يعيد هذه الحوادث في مخيلته إذ به يسمع تغريد عصافير على شجرة، فرفع الى الشجرة نظره، فاذا به يبصر عصفورين على غصن، متعانقين في شوق وحنان، عندئذ سقطت دمعة كبيرة على خد الشاعر، ثم نظر في ساعته فوجد أنه قد تأخر في نزهته، فبادر بالعودة الى المنزل، لأن زوجه كانت قد دعت بعض الأصدقاء للاحتفاء بمرور عام على زواجهما السعيد !

كرمة ابن هاني — حسين شوقي

من الأدب الأندلسي :

٤ ـ التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

أتينا في المقال السابق على آراء ابن شهيد في شخصية الأديب، وقلنا إنها آراء صائبة لم يسبقه اليها أحد في العربية، ونريد في هذا المقال أن نستجلي آراءه في الآثار الأدبية، فنتعرف المظاهر التي اعتبرها مسباراً لبراعة الأديب الفنية، واتخذها مقياساً لقوته في الصناعة، وقد اعتبر ابن شهيد لذلك عدة مظاهر دلّ عليها في مواضع متفرقة من «التوابع والزوابع»؛ وأول مادل عليه من هذه المظاهر: المعنى السامي البديع، يختال في اللفظ المشرق السمح. فالأديب عندا بن شهيد لا يبلغ الشأو ولا يستحق اسم الصناعة إلا «بتعمد كرائم المعاني، وتقحم بحور البيان . . . فيمتطي الفصل، ويركب الحد، ويطلب النادرة السائرة، وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته» ولعل من المعلوم أن قضية «اللفظ والمعنى» كانت من القضايا التي طال فيها جدال النقاد المشارقة، واختلفوا في الأخذ بها بعضاً وكلاً، فاعتبر بعضهم اللفظ وحده مظهراً لبراعة الأديب وقوته، ذلك لأن المعاني مطروحة أمام الناس، فالبليغ من أجاد صياغتها، وأحسن سبكها. واعتبر آخرون المعنى فحسب، فالأديب لا يفضل الأديب ولا يفوقه إلا بجدة أفكاره وغزارة معانيه، ثم استقر الرأي على الجمع بين شقي القضية، فأصبحت براعة الأديب تستجلي في ألفاظه ومعانيه، وأصبح الأديب لا يبلغ منتهى البراعة والقوة «إلا بتعمد كرائم المعاني وتقحم بحور البيان» كما يقول ابن شهيد

وابن شهيد يحب الازدواج في الكلام، ويرغب في المماثلة والمقابلة، ولكنه يكره التزام السجع، ويراه أفناً لا يليق بفارس البيان، ومن العجيب أنه مع ذلك كان يلتزم السجع كثيراً في أسلوبه، وكأن الرجل قد توقع الاعتراض عليه من هذه الناحية، فأراد أن يعتذر عن نفسه، فزعم أنه التقى بعتبة بن أرقم شيطان الجاحظ [1] فشهد له بأنه خطيب وحائك للكلام مجيد، ولكن لامه على غرامه بالسجع، فقال ابن شهيد رداً عليه: «ليس هذا — أعزك الله — جهلاً مني بأفن السجع، وما في المماثلة والمقابلة من فضل، ولكني عدمت ببلدي فرسان الكلام ...» ثم ينطلق في الانتقاص من معاصريه فيزعم أنهم لغباوتهم لا يفقهون الازدواج ويكبرون من قيمة السجع، فاضطر أن يسجع حتى يحرك من نفوسهم، ويلج بكلامه إلى قلوبهم، فيقول عتبة: إنا لله، ذهبت العرب وكلامها، ارمهم بسجع الكهان فعسى أن ينفعك عندهم، ويطير لك ذكر فيهم. وهذه معذرة إن صحت لا نقبلها من ابن شهيد، فليس من حسن الرأي أن ينحرف الكاتب عن طريقة يراها سديدة إلى أخرى مستهجنة ليظفر بالرضى من بعض الناس، وإنما الكاتب العبقري هو الذي ينتهج طريقه ويدع الأذهان تتبصر مسلكه؛ وتتبين خطواته فتترسم سيره، وتأخذ أخذه . . .

ولكن ابن شهيد يعود ليستدرك على قضية «اللفظ والمعنى» مظهراً آخر من مظاهر البلاغة، فيرى أن هناك «صوراً من الكلام تملأ القلوب وتشغف النفوس، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده، وللجمال تركيبها وجهاً لم تعرفه، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير الحسن . . . وذلك كقول امرئ القيس:

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فهذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده!! ولكن لها من التعلق بالنفس والاستيلاء على القلب ما ترى ..»
وهذا كلام حمله ابن شهيد على ما اشترطه في شخصية الكاتب من قوة الطبع وصفاء الروح كما سبق بيانه، ومعنى هذا الكلام أنك إذا تأملت بعض الصور الكلامية الرائعة لا تجد لروعتها أصلاً من جزالة اللفظ أو طرافة المعنى، بل قد تكون سهلة التناول قريبة الغور، ولكن روعتها ترجع الى ما يكن فيها من القوة الروحية للكاتب، وأكثر ما تتجلى هذه القوة في كلام الله «حين يتحدث ذو الجلال عن ذاته وصفاته، وقدرته وقوته، وجلاله وعزته، ولطفه ورحمته، وناره وجنته، ووعده ووعيده،

(١) ذكر ابن شهيد أنه التقى بشيطان الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وكثير من شياطين الكتاب والخطباء. وهذا اختراع منه. وإلا فالشياطين لم يعرفوا إلا للشعراء

وإنذاره وإعذاره ، وقد كان لهذه القوة الرائعة الأثر الأقوى فى رياضة العرب واجتذاب نفوسها نحو الاسلام ، وهى التى كانوا يشعرون بوقعها من غير أن يعلموا كنهها [1] » . ومن العجيب أنك تقرأ الأبيات من الشعر العالى أو النثر البديع فتشعر بهذه القوة رائعة ظاهرة تكسو الكلام جلالاً وجمالاً ، فتحاول أن تعبر عنها كما يجب فتجد نفسك عاجزاً مقصراً ، ذلك لأن قوة الكلام لا ترجع فى هذه الحال الى الألفاظ والمعانى ، وإنما هى ترجع الى ما فيه من القوة الروحية ، وقد أخذ بعض الكتاب المعاصرين هذه الفكرة عن ابن شهيد ، وتبنّاها لنفسه ، وادّعى أنها انحدرت من عقله على قلمه ، وهاجم بها الباقلانى فى أقواله فى إعجاز القرآن ، وجادل بها الكتّاب والنقاد الذين تصدوا للرد عليه ! !

وثمت مظهر آخر من مظاهر القوة والبراعة عند الأديب فى رأى ابن شهيد ، وهذا المظهر هو التفنن فى توجيه الخطاب بحيث يكون على وفق أقدار المخاطبين ، والتصرف فى إيراد القول بحيث يكون من السهولة أو القوة على حسب ما يقتضيه المقام ، وقد ذكر ابن شهيد هذه المسألة وهو يشرح ما كان يقع له مع الشحاذين فى قرطبة ، وكيف كان يعينهم بشعره على نيل مآربهم ، فقال : « وربما لاذ بنا المستطعم باسم الشعر ، ممن يحبط العامة والخاصة بسؤاله ، فيصادف منا حالاً لا تتسع له فى كثير مرة ، فنشاركه ونعتذر له ، وربما أفدناه بأبيات يتعمد بها البقالين ومشايخ القصابين ، فاذا قارفت أسماعهم ، ومازجت أفهامهم ، درّ حلبهم ، وانحلت عقدهم ، وجلّ شخص ذلك البائس فى عيونهم ، فما شئت إذ ذاك من خبزة وثيرة يحشى بها كُمه ، ورقبة سمينة تدسّ فى مخلاته ، وتينة رطبة يسدّ بها حلقومه . . فلا يكاد البائس يستتم ذلك حتى يأتينا فيكب على أيدينا يقبلها ، وأطرافنا يمسحها ، راغباً فى أن نكشف له السر الذى حرك العامة فبذلت ما عندها له ، وبادرت برفدها اليه . وتعليمه ذلك النحو من الشحذ لا نستطيعه ، لأن هذا الذى يريد منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب ! ! ولكل ضرب من الناس ضرب من الكلام ووجه من البيان . . »

وقد سبق أبو هلال العسكرى ابن شهيد الى تقرير هذه الحقيقة بعبارة أصرح وأوضح فقال فى كتابه الصناعتين : « وينبغى أن تعرف أقدار المعانى فتوازن بينها وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى تقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات ، واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ... فان كنت متكلما أو احتجت الى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب ، أو قصيدة لبعض ما يراده القصيد ، فتخط ألفاظ المتكلمين مثل الجسيم والعرض واللون والتأليف والجوهر ، فان ذلك هجنة . وكذلك كن أيضاً إذا كنت كاتباً »

ولعل بشار بن برد كان أول من دلّ على هذه الظاهرة واستعملها فى شعره من حيث كان الناس يعيبونه بها ، فقد جاء فى الأغانى بسنده أن بعضهم قال : قلت لبشار إنك لتجىء بالشىء الهجين المتفاوت ! قال وما ذاك ؟ قلت بينا تقول شعراً يثير النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة
ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فقال بشار : لكل وجه ، وموضع الأول جدّ ، وهذا قلته فى ربابة جاريتى ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع لى البيض ، فهذا عندها أحسن من « قفا نبك ... » عندك

وصدق بشار فيما قال ، فان البليغ هو من يحوك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفاظ على قدود المعانى ، وقد تكون هناك مواقف للقول يطلب فيها الأسفاف ، ويحلو فيها التبذل ، فيكون باقل فى عيه وفهاهته ، أفصح من سحبان فى تشدقه ورغائه ، ويقيني لو أن بشاراً توجه فى الخطاب الى جاريته بلثته فى الفخر والحماسة ، لدلّ على الحماقة فى طبعه ، والسقم فى ذوقه ، وزعما ظنت هذه الجارية أنه يشتمها ، فكانت تمنعه بيض دجاجها ، وتحتم عليه أن يشترى البيض من السوق ، فلا يفيده تقعره ، ولا ينفعه شعره ،

(١) الزهرات للشيخ عبد الله عفيف

٤ – بين القاهرة وطوس

طهران

للدكتور عبد الوهاب عزام

إسترحنا بقية اليوم وزرنا بالليل دار المفوضية المصرية، ومر وزير المعارف فترك بطاقاته للمندوبين، ووُزِّع عليهم منهاج المؤتمر وأوراق أُجرى فيها دعوات إلى حفلات كثيرة، وعرفنا من المنهاج أن أيام المؤتمر والحفلات خمسة عشر يوماً من الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤ – ١٢ مهرماه سنة ١٣١٣) إلى يوم الجمعة عاشر رجب. ومن ذلك ستة أيام في طهران، وثلاثة في مشهد، وستة في الطريق بين طهران ومشهد ذهاباً وأوبة. وقد سجل في بيان أعضاء المؤتمر اثنان وأربعون من ممثلي الأمم المختلفة، ومثلهم من الايرانيين. ومندوبو الأمم يمثلون ثماني عشرة أمة بينها من أمم الشرق: مصر والعراق وتركيا وأفغانستان والهند واليابان

وفي اليوم التالي بدئت أعمال المؤتمر بمدرسة دار المعلمين في بهو فسيح صفت فيه مقاعد كثيرة، صفوفها الأولى لأعضاء المؤتمر والأخرى للحضار من غيرهم. ووضع في صدر المكان تمثال للفردوسي، ومنصة الرياسة، ومنصة الخطابة، واستمر اجتماع المؤتمر خمسة أيام. وكان الموعد من الساعة التاسعة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر. وزيدت جلستان في مساء اليومين الثالث والرابع لكثرة مريدي الكلام من الأعضاء. وقد تكلم زهاء أربعين قليل منهم من الايرانيين، وترك بعض الايرانيين الكلام ليفسحوا مجال القول لضيوفهم

افتتح المؤتمر فروغي خان رئيس الوزراء، ولجنة الآثار القومية، فشكر الوفود باسم الأمة الايرانية، والحكومة، ولجنة الآثار على ما أجابوا الدعوة وتحملوا مشاق السفر، وأبلغهم سرور جلالة الشاه بقدومهم، وأنه سيقابلهم في طوس، وقال:

«يقول الشيخ سعدي «إن السفر لا يطول على قاصد الحبيب[1]» وإنما أجاب السادة الفضلاء دعوة الفردوسي. وإذ كان الداعي هو الفردوسي أمكن أن نقول: «ليس في السفر الروحي بُعد المنازل»[2] ونحن مواطني الفردوسي الذين عهد إلينا شرف الترحيب بكم نيابة عنه، نعرف أنكم كنتم على يقين مما تلقون من المشقات الجسمانية، ولكن أرواحكم الكبيرة الكريمة قلبت المحنة راحة بهمتها العظيمة، وأولت إيران يداً لا تُنسى. أجل قد حملتمونا المنن العظيمة؛ ولكن كان لكم الحق فيما حملتم أنفسكم من مشقة، فإن الفردوسي إن تعلق بإيران حبها فهو ابن الانسانية روحا، بل أقول إذا أذنتم لي: إنه من آباء الانسانية. وبعد، فقبيح أن يتصدى جاهل مثلي تعريف علماء أمثالكم بالفردوسي، فمن الخير ألا أشغل أوقاتكم النفيسة، وأن أفسح المجال لأعمالكم المفيدة»

ثم أعلن افتتاح المؤتمر، وأخبر أن علي أصغر حكمت كفيل وزارة[3] المعارف سيتكلم بالفرنسية، لأن بعض الحاضرين لا يعرف الفارسية. فتكلم كفيل المعارف مبدياً سرور الايرانيين وشكرهم للعلماء الذين وفدوا للمشاركة في حفلات الفردوسي ثم قال:

«إن اجتماع هذا العدد من العلماء على اختلاف الأوطان دليل قاطع على ما قيل من أن العلم والأدب لا وطن لهما. فحيثما لمع نور هذه الموهبة الالهية اتجهت إليه النفوس المستعدة، والأرواح

---

(١) سفر دارز نباشد باى طالب دوست

(٢) بعد منزل نبود درسفر روحانى

(٣) كفيل الوزارة هو القائم بأعمالها.

فمن القصور أن يلتزم الشاعر أو الكاتب نمطاً واحداً في التعبير لا يتعداه، فيكون في جده كهزله، ومن الهذيان أن يتعنت في توجيه الخطاب، فيكون في كلامه إلى أهل الثقافة والمعرفة كما هو في كلامه إلى ذوي الفهاهة والعي؛ وإنما الطبع القوي هو الذي يواتي صاحبه في كل طريق يسلكه، والذوق السليم هو الذي يقضي عليه بتوجيه الخطاب على مقتضى الحال، حتى يستطيع من وراء ذلك أن ينال غرضه عند المخاطب، وأن يصل إلى قرارة نفسه في يسر وسهولة، فلو انتهج الأدباء هذه الخطة التي أوضحها ابن شهيد، ولو علموا أن لكل ضرب من الناس ضرباً من الكلام ووجهاً من البيان، لأمكنهم أن يغزوا نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم بأفكارهم وأساليبهم، وأن يخلقوا الأحساس الفني في نفوس الجمهور على مر الزمن

محمد فهمي عبد اللطيف

من اليمين الى اليسار : الدكتور عبد الوهاب عزام . الحاج محتشم السلطنة اسفنديارى رئيس المؤتمر . الأستاذ كريستنسون نائب الرئيس . الأستاذ هنرى ماسى سكرتير

المشتاقة كالفراش ، فيرون أنفسهم فى هذه المرآة المشتركة بينهم ويقولون : كنا متحدين ، كنا جوهراً واحداً ، كنا بغير أجسام ورءوس ، كنا جوهراً وضاء كالشمس ، وكنا صافين كالماء . فلما تصور هـذا النور الجليل ظهرت أعدادنا ظهور الظلال على الشرفات (١)

وسيلة إلى التقريب بين الأمم ، وقال : لذلك أفتخر بأن أقول إن اهتمام الأمة الايرانية بعيد الفردوسى ، ودعوة الأمم إلى المشاركة فيه يعد فى الحقيقة خطوة إلى التفاهم الحقيقى بين الأمم وإن يكن فى ظاهره ذا مقصد أدبى وتاريخى »

وبعد فراغ وزير المعارف من كلمته دعى الحاضرون إلى انتخاب مكتب المؤتمر فكانت نتيجة الانتخاب :

الحاج محتشم السلطنة اسفنديارى	رئيس
الأستاذ كريستنسون الدانمركى	نائب الرئيس
الأستاذ زاره الألمانى	» »
الأستاذ هنرى ماسى الفرنسى	منشى (سكرتير)
الدكتور عبد الوهاب عزام المصرى	» »

ثم تلا الرئيس رسائل كثيرة من الحكومات والجامعات

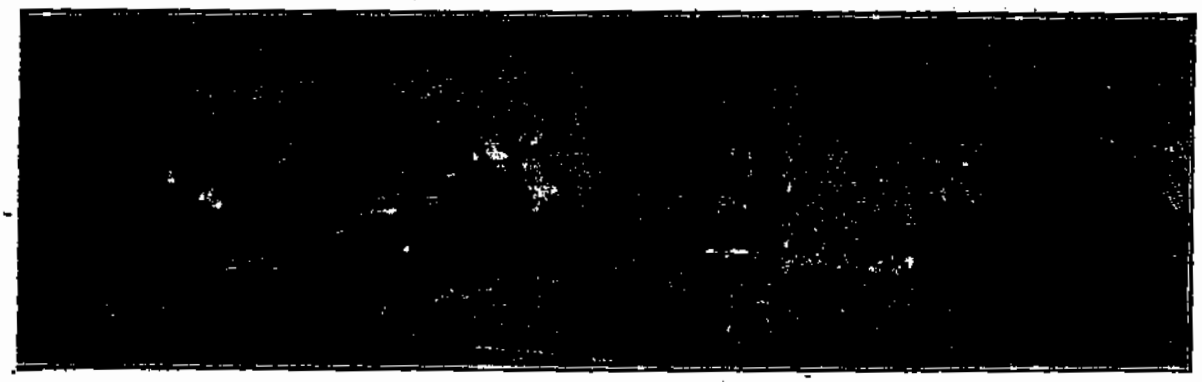

المؤتمر فى احدى جلساته ، ويرى على اليمين تمثال الفردوسى وقد ظهر من خلفه الدكتور عبد الوهاب عزام وأمامه الأستاذ هنرى ماسى

ان اهتمام الأمم المعظم بعيد الفردوسى الألفى ، واحتفاءها به فى بلادها ، وإرسال فضلائها إلى قبر شاعر ايران برهان على أن الأمم لا تختلف فى الحقائق على رغم ظواهر الأمور . إن بين الأمم اختلافاً فى السياسة ، والاقتصاد ، والتجارة ، والمعيشة ، والآداب والعادات — اختلافاً جعل العالم الحاضر ماديا ملؤه الشرور والآفات ، ولكن كلما لاحت للناس الأمور المعنوية والفوائد العلمية والأدبية امحت هذه الاختلافات ، وتجلى الوفاق والوئام — ثم بين كفيل المعارف أن الاشتراك فى مثل هذه الأمور أحسن

الأستاذ الزهاوى وهو ينشد قصيدته

(١) هذه ترجمة أبيات صوفية أظنها من المثنوى وهى :

متحد بوديم ويك جوهر همه ... بى تن وبى سر بديم آن سر همه
يك گهر بوديم همچون آفتاب ... بى گره بوديم وصافى همچو آب
چون بصورت آمد آن نور سره ... شد عدد چون سايه‌هاى كنگره

تبين عن مشاركة الايرانيين فى الحفاوة بشاعرهم . ثم تكلم بعض المندوبين كلمات قصيرة أبانوا فيها عن سرورهم بالمشاركة فى هذا الاحتفال . وكان من المتكلمين الأستاذ عبد الحميد العبادى فتكلم بالعربية عن فضل الفرس على الأدب العربى ، وألقى الشاعر الكبير الزهاوى قصيدة فارسية

ثم بدئت المحاضرات على ترتيب حروف الهجاء ، فكان أول المتكلمين الأستاذ العبادى فتكلم عن الأخلاق فى الشاهنامه ، واستمرت كلمته خمسا وعشرين دقيقة وتلقاها الحاضرون بالاستحسان . واقتبس منها بديع الزمان أحد أدباء إيران حينما تكلم عن الشاهنامه من بعده

وفى اليوم التالى تكلم سفير الروس ، وترجمت كلمته الى الفارسية ، وأهدى عن دولته كتباً وصوراً فارسية قيمة ، ثم خطب سفير الألمان ، وقدم هدايا من الكتب منها فهرست للشاهنامه ، وأعلن منح بعض الجامعات الألمانية رئيس وزراء إيران دكتوراه فى الآداب ، وانتخاب وزير المعارف عضواً فى جمعية المستشرقين الألمانية . ثم تكلم آخرون ، وانتهت الجلسة بانشاد الشاعر الكبير الزهاوى قصيده عربية (نشرت فى الرسالة)

وفى اليوم الثالث كانت جلستان : فى الصباح والمشى ، وتكلم ثمانية . وكنت ثانى المتكلمين فى الصباح فألقيت بالفارسية كلمتى « مكانة الشاهنامة فى آداب الأمم » فى عشرين دقيقة . وقد تفضل الحاضرون فأحسنوا استقبالى حينما قمت للكلام ، وأحسنوا الاستماع لى ، ثم أبدوا استحساناً عظيما حينما فرغت ، وإنى أدع للجرائد الايرانية الكلام ، فان القارىء المصرى يهمه أن يعرف ما قالت جرائد إيران فى ذلك

قالت جريدة اطلاعات :

« ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام معلم الأدب الفارسى والعربى بالجامعة المصرية ، خطبة بالفارسية ، وموضوعها مكانة الشاهنامة فى آداب الأمم ، وقد بدأ كلامه بقوله . أنا لا أحسن التكلم بالفارسية ، ولكنى لا أريد فى حضرة هذا الشاعر الكبير (وأشار إلى تمثال الفردوسى) أن أتكلم إلا بلغة الشاهنامة — ولخصت الجريدة المحاضرة ، ثم قالت — : وفى نهاية الخطبة أبدى سروره بمشاركته هو وزميله فى عيد الفردوسى باسم الأمة المصرية والحكومة . وقدم الى رياسة المؤتمر نسخة نفيسة من الشاهنامة العربية التى أخرجها الدكتور عزام أخيراً ، بعد أن صححها وعلق عليها ، وقدم لها مقدمة نفيسة جامعة ، وطلب أن ترفع هذه النسخة إلى الحضرة الهمايونية الشاهنشاهية . وكذلك قدم نسخة إلى حضرة رئيس الوزراء ، وأخرى إلى كفيل وزارة المعارف ، وكانا حاضرين . وقد قوبلت خطبته وعمله بتصفيق مديد . وحينئذ تقدم إلى منصة الخطابة السيد حكمت كفيل وزارة المعارف ، وشكر الدكتور عزام على ما أظهر من عواطف المودة وقال :

« أشكر الدكتور عبد الوهاب عزام من جهتين : الأولى أنه تحمل مشقة فى ترجمة الشاهنامة وتصحيحها والتعليق عليها . والثانية أنه تكلم بلغة الشاهنامة . يقول حافظ الشيرازى إن الترك المتكلمين بالفارسية يهبون لى الحياة . وأنا أقول إن العرب المتكلمين بالفارسية يهبون لى الحياة . والحق إن لسانى قاصر عن الشكر . والاستاذ عزام من أدباء الشرق الذين درسوا الفارسية برغبة وعشق وكلف خاص ، وإنى أختم شكرى بهذين البيتين للشيخ سعدى :

« قلت لقلبى إن الناس يجلبون السكر من مصر فيهدونه إلى الأحباء . فان تكن يدى خالية من هذا السكر فمنى كلام أحلى من السكر » (٢)

ولما جلس الدكتور عزام فى مكانه من منصة مكتب المؤتمر قال له الرئيس (لقد أردت أن تثبت أنك أستاذ الأدب الفارسى بحق) اهـ

ثم توالى المتكلمون فى اليومين الرابع والخامس ، وأنشد الشاعر الانكليزى درينكووتر قصيدة وترجمها نظماً وأنشدها فى المؤتمر من بعدُ الشاعر الفارسى بهار الملقب بملك الشعراء . وتكلم فى اليوم الأخير الأديب أحمد حامد الصراف أحد مندوبى العراق ، فألقى بالعربية كلمة قصيرة جميلة تكلم فيها عن المودة بين العراق وإيران

وكانت هذه الأيام الخمسة مزدحمة بحفلات الغداء والعشاء ، ومشاهد التمثيل والألعاب الرياضية ومشاهدة الأماكن العظيمة فى طهران . وزجىء الكلام فى ذلك الى المقال الآتى خشية الأطالة

عبد الوهاب عزام

---

(١) تركان پارسى كو بخشند كان عمرم

(٢) بدل كفتم أز مصر قند آورند   بردوستان أرمغانى برند
مرا كه تهى بود أزين قند دست   سخنهاى شيرين تر أز قند هست

الشمس فى الغروب

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

ماذا تحس الشمس عند غروبها ... فيكون ذلك باعثاً لشحوبها ؟
ما إن رأت عينى وقد راقبتها ... كالفرق بين طلوعها وغروبها
بعد ابتسامتها لنا قد قطبت ... والحزن كل الحزن فى تقطيبها
إنى ليحزننى الغروب فإنه ... لمذكر نفسى بكل كروبها
الشمس فى الدنيا إلىّ حبيبة ... والنفس تأسى من فراق حبيبها
ويزيدها شجناً إلى أشجانها ... مر السحاب محاولاً لركوبها
كانت إذا طلعت يفوز الأرض من ... أنوارها مبثوثة بنصيبها
كانت تجذوتها السماء منيرة ... والأرض كانت تصطلى بلهيبها
أجمل بألوان الغمائم حولها ... لو دامت الألوان بعد مغيبها
مدت مودعة بنان شعاعها ... لبعيدها وتلمست بقريبها
انظر إلى الأفق البعيد تخل به ... ناراً تخوض العين بعد شبوبها

***

بالشمس تحيا الأرض ضاحيةً لها ... وبها تتم لها حياة شعوبها
صفراء خائفة كأن وراءها ... سوداء تخطف شلوها بنيوبها
وقدا كتست بعد اصفرار حمرةً ... بدم لها أهريق فوق تريبها
وكأنما قطع السحاب أمامها ... سدت لتمنعها طريق وثوبها
غربت وأبقت فى السماء وراءها ... شفقاً يثير الشجو بعد غروبها
قد أوبت شمس النهار فهل إلى ... هذا مصير الشمس فى تأويبها
أمّا الغمائم فهى قد هبت بها ... ريح الأسى فتمزقت لهبوبها
والثاكلات أذابها عصف الأسى ... قلوبها تنشق قبل جيوبها

***

تهوى وتقلى فى زمان واحد ... دنيا محاسنها توازى عيوبها
وكأنها من نورها وظلامها ... ممزوجة أفراحها بخطوبها

جميل صدقى الزهاوى

شعرى

للمرحوم أبى القاسم الشابى

شعرى نفاثة قلبى ... إن جاش فيه شعورى
لولاه ما انجاب عنى ... غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتئابى ... ولا وجدت سرورى
به ترانى حزيناً ... أبكى بدمع غزير
به ترانى طروبا ... أجر ذيل حبورى

***

لا أنظم الشعر أرجو ... به رضاء أمير
بمدحة أو رثاه ... تهدى لرب السرير
حسبى إذا قلت شعرا ... أن يرتضيه ضميرى

***

لا أقرض الشعر أبغى ... به اقتناص نوال
الشعر إن لم يكن فى ... جماله ذا جلال
فإنما هو طيف ... يسعى بوادى الضلال
يقضى الحياة طريداً ... فى ذلة واعتزال
ما الشعر إلا فضاء ... فيه يرف خيالى

أبو القاسم الشابى

جنون الغيرة

لفريد عين شوكة

يغار إذا ما لاحه فى جماعة ... يبادلها بعض الرضى وتبادله
ويكره أن يلقى له أىّ صاحب ... يفوز بعطف عنده أو يحاوله
ويعبس إن ردّ التحية لامرئ ... يحييه أو مدت إليه أنامله
ويغضب منه إن أطل ببسمة ... على الغير أو أصغى إلى من يسائله
فكيف إذا ألفاه يسعى لغيره ... ويعرض عن ناء بالمهجر كاهله
تساوره من حرقة الوجد لفحة ... تضج لها أحشاؤه ومفاصله
ويغشاه إعصار من الهم متلف ... يزعزع ركن القلب حين يصاوله

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٣ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوى

نقد الحكم La critique du jugement

ترى كانت – فى فصله هذا – يعزو كل تأثير الى أحاسيس باطنية ، فهو لا يتحرى اذ يتحرى عن أسباب الجمال الخارجية ، لأن الحس لا يكمن فى الأشياء ولكنه يكمن فى الانسان

وقد شطر نقد الحكم شطرين : الأول ويحتوى على الألفة بين الجميل والسامى لما بين الجمال والسمو من تقارب ، والآخر وهو يعنى بمظاهر الأشياء المؤتلفة المتطابقة فى الوجود

إن (كانت) بحث فى موضوع الجميل beau واللذيذ agréable كما بحث فيه الأولون ، ولكنه وسع دائرة البحث وتعمق فى تحليله ؛ فاعتبر اللذيذ كل ما فيه لذة للحواس مصحوباً بالرغبة ، واعتبر اللذة التى يولدها مشهد الحسن والجمال لذة خالية من الأهواء والأغراض ؛ وإن حكماً يمازجه قليل من الهوى لهو حكم فاسد غير مبني على الذوق ، ولكن لما كان حكم الذوق مبنياً على العاطفة فهو بحكم الضرورة قابل للتغير ، وفى الامكان أن نرى فى كل بيوت الفن – وفى الطبيعة تماثيل ودمى تحظى برضا الناس ؛ ولكننا لن نرى مقياساً واحداً صحيحاً للجمال ، لأن الذوق نفسه هو كالبراعة شيء مبتكر

فاذا كان الجمال يؤثر فى شعورنا تأثيراً خفياً ويرسل فينا الراحة واللذة من حيث لا نشعر ، فان السمو ليلونا باهتزاز عنيف قد يكون مضنيا ومرهقاً للنفس ، ولأن يكون ما يبعثه السمو فى أنفسنا أدنى الى عاطفة الأعجاب والاجلال منه الى الراحة واللذة أحرى وأجدر ، واسمه الحقيق هو « اللذة السلبية »

ويفرق كانت بين السمو الرياضي mathématique والسمو الآلى « أو ذو الحركة » dynamique هذا مؤسس على فكرة القوة وذلك على فكرة العظمة والروعة ، فالطبيعة هى سامية عالية – رياضياً – فى حوادثها التي يصعب على مخيلاتنا إدراكها ، وهى سامية أيضاً بحركات أجرامها الهائمة فى القضاء ، حتى كأنها تريد أن تسحق وجودنا المادى . وفى كلا الحالين تهيب مخيلتنا بعقلنا ، فيتركنا العقل ذاهلين أمام السماء ذات الكواكب واللانهاية التى لا تحد ولا تبلغ الى عظمتها المخيلة مهما سمت ، وهو العقل الذى يثير فينا عاطفة السمو ، ويجعلنا نرددمعه « ما أنا إلا قصبة ، لكنها قصبة مفكرة »

فالسمو إذاً لا يكمن فى الأشياء ، ولكن فى أنفسنا ، فلا يجب علينا أن نقول « إن هذا الشيء هو سام » ولكنه شيء يبعث فينا فكرة السمو ، فلا شيء فى الطبيعة مهما جل – إذا نظرنا اليه نظرة قياسية – إلا وهو يهوى الى أحقر الأشياء ، ولا شيء حقير – إذا قسناه بمقياس آخر – إلا وهو يرق الى أعلى الأشياء ، وهناك المراصد والمجاهر تثبت صحة دعاوانا

يعرض أمامنا شيء رائع ، يعجزنا التعبير عنه فنقول : إنه لسام رائع ؛ ويخلق معركة حامية بين العقل والمخيلة ، فلا تستطيع المخيلة إدراك كنهه ، والعقل لا يفتأ يتحرى عن وسيلة يفهمه بها ، فينشأ من ذلك تلك الروعة التى نحسها أمام الأشياء العظيمة السامية ، ولكنها روعة ترفع أنفسنا الى المثل العليا ، لأنها تنبه

يريد له ألاّ يصاحب دونه ... وألاّ يُنيل الغير ما هو نائله
يريد له ألاّ يخفّ لغيره ... ولو كان ممن تستبيه شمائله
أمانٍ كحال البدر يدنو ضياؤه ... وتُمعِنُ فى بُعد المزار منازله
وعبء تنوء الشامخات بثقله ... ويعقد رَضْوَى عزمه وهو حامله
فكيف بمحبوب أرقّ من الصَّبا ... وأحنى من الغصن النضير كواهله
فياغيرة الصب التى طوّحته فى ... خضمّ من البلوى تناءت سواحله
ويا ويحه يخشى لقاء حبيبه ... مع الغير حتى لا تَهِيجَ بلابله
فيهجره رغم الجوار وإنه ... لأحوج أن تَرْوِى صداه مناهله
ويحمل فى النأى العذابَ وكلما ... تراءى له المحبوب ضجّتْ مراجله
وأغرِقَ فى بحر الأسى وحبيبه ... تفيض بآيات الحبور محافله
ويا حيرة المحبوب فيما يشاؤه ... محبٌّ بعيدُ الفَوْز ما هو آمله
عزيز عليه أن يرى بشره امحّى ... ونضرته كالروض جفّت خمائله
ولكنه لا يستريح لناصح ... له فى الهوى أو يرتضى من يجادله

فريد عين شوكة

فينا ناحية العظمة الصادقة التي تتجلى بها طبيعتنا الأنسانية وحريتنا الأخلاقية

أسلوب كانت

بعد كانت أصدق الفلاسفة اعتقاداً وأصفاهم أسلوباً ، يقول ما يعتقد به حقاً ويكتب لقرائه كما يكتب لنفسه ، تكاد تنطق جملته بفكرته ، ويعتقد أن الحقيقة غنية بنفسها ، وأن الزخرفة في التعبير عنها مما يرخص من قيمتها ، ورغم هذا الأسلوب الواضح رماه بعضهم بظلمة التعبير ، وقد أراد هؤلاء أن يظهروا أن كانت ليس ممن تنبسط أفكارهم للقارئ بسهولة . على أن أفكار كانت لا تمشي إلى قارئها ، وإنما على القارئ أن يسعى اليها ليدركها ، ولكنه لا بد مدركها كلها ، ولكن إدراكها لا يخلو من الجهود التي لا يستغني عنها رجل يسعى

إن أسلوب كانت واضح جد الوضوح ، ولكن عيبه الواحد الذي أخذه عليه النقاد أنه يخلق في الموضوع شعباً كثيرة لا يترك منها مسرباً الا نفذ فيه ، وهذا قد يدل على سعة اطلاع ونظر بعيد وإن كان لا يخلو من السأم ، ولكن كانت لم يكتب إلا لذوي الألمام بهذا الموضوع فقد يأخذ الموضوع الحقير الذي لا يكاد يخوض فيه عقل فيخلق منه موضوعاً كبيراً ، وقد ذكر أحدهم نكتة جرت على لسان صديقه (فيار) أن هذا أعلن للفيلسوف أنه لا يستطيع أن يقرأ تصانيفه ، لأن الله لم يخلق له أكثر من هذه الأنامل ، يريد أن يضع أنملة على هذه الكلمة وأخرى على الثانية وهكذا حتى تنتهي أنامله ولما يكمل العبارة ويقف على دقائقها ، لأن كانت يستعمل كثيراً الاقواس والأهلة في عباراته المتصل بعضها ببعض . وقد كان لكانت فضل كبير في خلق كلمات وتعابير جديدة فلسفية خلقها بنفسه ، وفرضها على اللغة الفلسفية بنفسه

وأخيراً نستطيع أن نقول إن كانت كان مطلع الثورة الفلسفية في المانيا التي خلقت « فيخت وشيلنغ وهيجل[1] » وقد تناول تأثيره جميع المدارس العلمية والأدبية ، وما نبغ فيلسوف ولا أديب ولا شاعر نشأ بعد كانت الا وكان مديناً له ولمذهبه بكثير من آرائه ، وشيلر نفسه قد استمد من كانت آراءه في الجمال والسمو ، وما أصدق كلمة (غليوم همبولد) حين قال « إن قسماً من الذي هدمه كانت لن يقوم أبداً ، وإن قسماً من الذي شاده لن يخسف أبداً »

(١) سنبدي في مقالاتنا الآتية تأثر هؤلاء الفلاسفة بعلمهم الكبير كانت

فيخت

FICHTE

١٧٦٢ — ١٨١٤

ولد « فيخت » سنة « ١٧٦٢ » في قرية « رامينو » ولم يكن أبوه ليقدر على القيام بأعباء تعليمه ، فكفله أحد سادة القرية وأنفق في سبيل تعليمه ما أنفق ؛ وبعد جهاد عنيف ودرس طويل دخل في العالم الفلسفي ، فكان أول كتاب له « تجربة نقدية لكل وحي » وكتابه الثاني « تقويم أحكام الشعب على الثورة الفرنسية » وكتابه الثالث « نداء عام لأمراء أوروبا لكي يفكوا العقل من عقاله » وهذه الكتب الثلاثة وضعت « فيخت » في مصاف أرباب فلسفة النقد والثورة ، وبعد هذا الانتاج الطيب أعلن في محاضرة له قيمة مذهبه الذي وسمه بالمذهب العلمي ، وهو الذي يرد به كل العلوم الى مصدر واحد . وهذا المذهب أو هذه الثورة الفلسفية أطارت اسمه في الآفاق ، حتى غدا حديث المجامع والنوادي . وقد أسند اليه منبر في « لينا » ليحاضر في الفلسفة ، فسهل له هذا المقام أن يعاود شرح مذهبه وتفصيله من جميع نواحيه في كتبه العلمية ، وكان خلال ذلك يواصل نشر مقالاته في « واجب العلماء » فهو يريد من العالم أن يسيطر على شؤون بلده ، لأن العالم عنده ليس بالرجل الذي يملأ رأسه علماً وعرفاناً ، ولا من يتخصص في مادة واحدة يذهب بها كل مذهب ، ولكنما العالم هو الرجل الحر الذي اجتمعت له ثقافة عصره ، وسما فوق مشاغل حياته اليومية ، هو يريد أن ينقاد المجتمع للرجال الألمع ذكاء والأروع عقلاً

وربما دفعه هذا المذهب — أضف إليه بعض مشاغل خاصة — إلى أن يقطع الكثير من دراساته المتواصلة ، كان يحاول من ورائها أن يطبق مذهبه النظري على الأخلاق والحقوق والسياسة والدين ، يقطع هذه الدراسات ملتفتاً إلى شؤون أمته المجروبة ، وقد خطب الشعب كثيراً في « برلين » بأسلوب تبدو فيها حماسة الفيلسوف وشدة تعلقه بوطنه ، ومن خطبه خطبة ذكر فيها أسباب انحطاط أمته ووصف العلاج الشافي لهذا الانحطاط

قال : (إن أسباب الانحطاط داخلية ؛ لا يمكن أن تعزى إلى بأس الخصم وسيطرته ، إنها تتجلى في خنوعنا ولين أخلاقنا ، وفي أنانية مرشدينا وقوادنا ، وفي إعجابنا وتقليدنا الأعمى للأجنبي

[البقية على صفحة ٢١٥٨]

ادب الحرب

كبتن كونان

للقصصي الفرنسي روجيه فرسل

(صاحب جائزة جنكور لعام ١٩٣٤)

كان لهذا الشهر فى عالم الأدب الفرنسى أهمية كبرى تميزه من سائر شهور العام . فقد سطعت فى النصف الأول منه أسماء أربعة من الكتاب بعد أن فاز كل منهم بإحدى الجوائز الأدبية الكبرى التى تمنح فى فرنسا فى مثل هذا الشهر من كل عام الى خير قصة يقع عليها اختيار لجنة تحكيم كل جائزة من هذه الجوائز . ولقد ذكرنا أكثر من مرة أن اهتمام الغرب بالأكثار من الجوائز الأدبية ، يرتفع عن المكافأة المادية التى تصيب الكاتب الفائز ، وأن الغرض الأسامى هو شحذ همم الكتاب ، والاحتفاظ بعاطفة المنافسة حارة فى قلوبهم . وكل من تصفح الجرائد الأدبية الفرنسية الكبرى خلال الشهر الفائت استطاع أن يعرف مقدار اهتمام الفرنسيين — وهم كغيرهم من أمم الغرب — بأمر هذه الجوائز الأدبية . واستطاع أن يحس بما تخلقه هذه المباريات فى نفوس الأدباء حين يقرأ أحاديثهم قبل ظهور قرار المحكمين . تلك الأحاديث المتلئة بالعبارات المتحمسة ، القلقة على مصاير أعمالهم وعصارة عقولهم . وعندئذ يشعر بحاجة كل أمة متمدنة تبتغى النهوض لقوتها وآدابها إلى مثل هذه الجوائز .

* * *

وروجيه فرسل Roger Vercel الفائز بجائزة جنكور أستاذ للآداب بكلية دينان Dinan ، وهو الآن فى الأربعين من عمره . ولد فى بلدة تاتز ، ولما شبب تعلم فى (فليش) ثم انتقل الى (كان) ليدرس الأدب ، ولكن لم يكد ينقضى عام حتى شبت الحرب الكبرى فانتزعته من أحضان كتبه وأساتذته الذين كان يجلهم أعظم إجلال مثل بيرڤى الأستاذ الضرير الذى لا يزال يذكره روجيه فرسل بالخير ، ويرجع إليه أكبر الفضل فى نجاحه فى الحياة العامة ، ومثل موريس سوريو الذى أصلح له فيما بعد رسالته عن كورنى ، فنال بها ليسانس الآداب

حارب فرسل فى كثير من الميادين الحربية فى فرنسا مثل : ايبر وشمپانى وسُم وأرجون ، ثم أوفدته السلطات العليا إلى عدد من بلدان أوروبا الشرقية للقيام ببعض المهام ، فرأى اليونان وصربيا وبلغاريا ورومانيا ، واستفاد من ذلك أجل الفائدة ، إذ عرف أمماً تختلف عن وطنه فى كثير من النواحى ، وفهم نفسيات شعوبها ، وأخلاق أهلها ، وكان ذلك أكبر عون له على رسم كثير من شخصيات قصصه . وفكرة قصته Copitaine Conan التى نال عليها الجائزة إنما انبعث فى نفسه حين كان يعمل مقرراً لمجلس الحرب فى صوفيا

ابتدأ فرسل يخوض غمار الأدب برسالته القيمة I mages dans l'oeuvres de Corneille التى نال بها ليسانس الآداب . وبعد ذلك نشر كتابه Lexique des imagės de Corneille et de Racine وبعد هذا الكتاب ظهرت قصته الأولى Notre péres Trajin ، وتلتها قصة En Dérive ثم Au large l'Eden ثم Le maitre du rève ثم ظهرت له هـذا العام Copitaine Conan . وقد ابتدأت مجلة (جرنجوار) الأدبية تنشر له منذ بضعة أسابيع آخر قصصه La nuit macédonienne

ولفرسل ترجمة شيقة عن (دوجسكلان) Du Guesclin وهو يراسل عدداً كبيراً من المجلات الفرنسية الكبرى ، وعلى الأخص (ريفودوفرانس) و (ماريان) و (جرنجوار)

* * *

وروجيه فرسل يهيم بالقوة ، والأرادة الجبارة ، والشجاعة الخارقة التى يراها واضحة جلية فى كثير من رجال الجيش وبحارة السفن والصيادين المخاطرين . وهو يرى أن غرائزنا الوراثية الأولى التى تدفعنا إلى احتقار الحياة والأستهانة بالموت ، والغرام بالنزال

والقتال ، تلك الغرائز التي يظن الكثير أنها ماتت بتطور الانسان لا تزال كامنة فينا ، وسرعان ما تطغى على شخصيات الكثير منا عند ماتمهد الفرصةُ المناسبةُ لظهورها كالحرب مثلاً التي هي أكبر عامل في اظهار هذه الغرائز الأولى . وفي قصة (كبتن كونان) يرسم لنا فرسل صوراً من أولئك الأبطال الذين يحملون أرواحهم على أكفهم مستهدفين للمهالك غير عابئين بالموت ، وإليهم يُرجع كل فضل في الفوز والانتصار

و(كونان) بطل القصة رجل صغير الجسم ، هادئ الطبع ، لين الجانب كان يشتغل بائعاً صغيراً في سان مالو . ولم تكد تنشب الحرب عام ١٩١٤ ويتطوع فيها في جيش الشرق حتى تستيقظ فيه بطولة كانت خامدة تسوقه إلى مراتب الرقي السريع ، فتراه على رأس فصيلة صغيرة في الجيش نفخ فيها من روحه وبسالته ، حتى استيقظت في أفرادها نفس الغرائز التي استيقظت فيه ، غرائز الانسان الأول الذي لا يعرف للحياة قيمة ولا للموت رهبة ، فينساقون وراء رئيسهم (كونان) إلى شتى ضروب المهالك دون خوف ولا وجل .

لقد تجردوا من كل صفات الجنود النظاميين ، وأصبحوا أشبه ما يكون برؤساء العصابات ، لا يعرفون لهم قانوناً إلا الشجاعة الخارقة التي يجب أن تذوب أمامها كل عقبة تحول بينهم وبين تحقيق ما يرغبون . فبينما نرى في كثير من الأحيان أن سائر فصائل الجيش ينقصها الزاد والماء ، نرى ذلك عند فصيلة الكبتن كونان دائماً كاملاً موفوراً بل زائداً عن حاجتهم . وبينما نرى سائر الجنود يرهبون النزال مع العدو وجهاً لوجه حيث يمزق بعضهم أجسام بعض بالسيوف أو بأسنة الحراب ، ويعتبرون ذلك أشد ضروب القتال هولاً . نرى الكبتن كونان وأتباعه لا يترددون لحظة في الهجوم على خنادق العدو ، وقد تسلحوا بالقنابل اليدوية والخناجر معلقة إلى جوانبهم يغرسونها في أحشاء أعدائهم دون شفقة ولا رحمة حتى أطلق عليهم اسم (منظفي الخنادق) . ذلك أن كلا منهم كما يقول رئيسهم (كونان) لا يعترف إلا أنه (محارب) فحسب ، وليس جندياً يخلص للنظم العسكرية وتقاليدها كما يفعل سائر الجنود الآخرين . بل هم ينظرون إلى هذه النظم والتقاليد العسكرية نظرة الاستهتار بها والاحتقار لأثرها في الانتصار . وإنك لتستطيع أن تفسر جيداً نفسية أولئك (المحاربين) حين تقرأ كلام (كونان) إلى أحد رفاقه الذي يلومه على تصرفاته هو وزملاؤه ويقول : (حاول قليلاً أيها العجوز المسكين أن تفهم) فيجيبه كونان :

(أفهم ؟ أتظن أنني لا أفهم لأنني أتكلم بصوت عال ؟ إنني أعرف جيداً منذ بعيد أنهم كانوا يخجلون من أعمالنا ، وكانوا لا يعرفون كيف يتخلصون منا ! إنني أنا وشباني الذين خضنا حقيقة غمار الحرب ، ونحن الذين يرجع إلينا كل فضل في الانتصار ! أنا ومن عائلتي من الأعوان الذين أرعبنا الجيوش . أسامع أنت ؟ الجيوش التي كانت ترانا في كل مكان ، وكانت لا تحسب لغيرنا حساباً ، ولا ترهب سوانا منذ اندلعت أول شرارة ! إن قتل جندي أمر في استطاعة كل فرد أن يقوم به ، أما مهمتنا نحن فكانت قتل ذلك الجندي بطريقة تلقي الفزع في أدمغة عشرة آلاف آخرين ! لذا كان من اللازم الذهاب للقاء العدو بالخناجر . أفاهم أنت ؟ إن الخنجر هو الذي كسب الحرب ، وليس المدفع ! إن ذلك النوع من الرجال الذي أحدثك عنه لا يزيد على ثلاثة آلاف في كل جهات القتال . على أن هؤلاء هم المنتصرون وحدهم . هم المنتصرون الحقيقيون !)

والقارئ لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الأسى والتأثر أمام الخاتمة المحزنة التي تنتهي بها مأساة تلك الشخصيات الغريبة . فقد مضت سنو الحرب الأربع ، وإذا (كونان) بطل مقدام فاز بوسام الشرف ، تحلى صدره نياشين المجد والفخار . على أنه لا تكاد

الثورة العرابية
بقلم فخري أبو السعود المدرس بالعباسية الثانوية
كتاب يجب أن يقرأه كل مصري
يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي والنهضة بالمدابغ والهلال بالفجالة والهندية بميدان سوارس بالقاهرة والعباسية بالاسكندرية ومكتبة شنب المكتبة المدنية بطنطا
الثمن ٥ النسخ الباقية معدودة

تعقد الهدنة العامة وينطق جحيم المجزرة البشرية الكبرى ، وتوزن الأعمال بميزان أقرب إلى العدل والمنطق حتى نرى الذين كانوا يعتبرون بالأمس أبطالاً صناديد ، والذين يسألهم النادرة وإراقة دمائهم دون حساب ضمنوا لجيشهم الفوز مراراً في ساحة الوغى ، نراهم اليوم وقد أضحى الجميع يعتبرون عملهم جريمة لا تغتفر . وينظر اليهم مجلس الحرب نفسه نظرة الخارجين على القانون ، المنتهكين لحرمة الشرف العسكري !

وبانتهاء الحرب ينصرف الجنود جميعاً إلى بلادهم وذويهم متنفسين الصعداء بعد أعوام مريرة من العذاب والشقاء . إلا أن هذه الظاهرة العادية لا نجدها عند الكبتن كونان ورفاقه . إذ يصور لنا روجيه فرسل كيف عاد كونان إلى مسقط رأسه يعمل كما كان تاجراً بسيطاً كسير القلب محطم النفس ، غير راض عن حالة السلم والهدوء ، غير مرتاح إلى العيش في مجتمع لا يناسب ميوله وغرائزه التي بعثتها الحرب من مرقدها ، وأصبح لا يجد إلى التخلص منها سبيلاً

ويتزوج كونان . ثم تمضي الأيام فاذا الحياة الهادئة الوادعة لا تناسبه فيترهل جسده وتنتفخ أوداجه ، ويضنيه مرض الكبد وكلما تقدمت به السن شعر بأنه فقد كل شيء ، وضاق بالحياة كلها ذرعاً

إن روجيه فرسل يجمع في قصته فكرتين : أولاهما الأعجاب بأولئك الأبطال والرثاء لهم ، وثانيتهما الدعوة ضد الحرب ، فهولا يرى الحرب التي توقظ في هذا النوع من الناس بطولتهم الراقدة تحت وعيهم . بل هو بالعكس يريد أن يبين لنا أن (الحرب هي الشر الأعظم) كما يقول . أليست هذه الشخصيات التي يصورها لنا خير تصوير كأبطال الحرب الحقيقيين هي كذلك أول ضحاياها ؟ أليست شجاعتهم الخارقة بجعلهم أول وقود لسعيرها الجهنمي ؟ ثم أيضاً ذلك النفر منهم الذي يفقده الحظ الحسن من الموت في ميدان القتال ، ألم تحطم سعادته ، وتشق حياته كما رأينا في كونان ، ذلك التاجر البسيط الوديع الهادئ العيش الذي أصبح بعد أربعة أعوام من المذابح البشرية رجلاً أجدر به أن يوضع في عداد المرضى حين لا يستطيع الحياة في مجتمع خلو من القتل وسفك الدماء ؟ !

تلك هي ميزة قصة (كبتن كونان) الكبرى ، فلقد كُتب عن الحرب منذ بدئها إلى الآن عدد كبير من الكتب الرائعة ربما كان أعظمها كتابا جورج دوهامل Civilisation و Vie des Martyre ، وكتاب رولان دورجيليه Croix de Bois ، وكتاب هنري باربوس Le feu الذي نال جائزة جنكور عام ١٩١٧ ، وقد تفوق هذه الكتب قصة (كبتن كونان) في كثير من النواحي ، إلا أن روجيه فرسل يمتاز في قصته بأنه عالج موضوعاً ورسم نوعاً من الشخصيات الانسانية بطريقة لم يسبقه اليها غيره من الكتاب

علي فاضل

كستور الشتاء

لكي تقي نفسك شر برد الشتاء

البس الكستور المصنوع في بلدك

من القطن المصري الخالص

بأيدي عمال مصريين

أصنافه متعددة ورسوماته جميلة متنوعة

اطلب كستور

شركة مصر للغزل والنسج

المصنوع بمصانعها بالمحلة الكبرى

من تجار المانيفاتورة بأنحاء القطر ومن محلات

شركة بيع المصنوعات المصرية

البريد الأدبي

الجوائز الأدبية الفرنسية

ظهرت فى فرنسا فى أوائل هذا الشهر أسماء الفائزين بالجوائز الأدبية الفرنسية الأربع ، ففاز بجائزة Goncourt الكاتب روجيه فرسل بقصته Capitaine Conan وقد تحدثنا عن القصة ومؤلفها فى غير هذا المكان . وفازت قصة Le Bateau - Refuge لروبرت فرانسس Francis بجائزة Femina - Vie Heureuse . وقصة Anny لمارك برنار بجائزة Interallié . وقصة Blanc للكاتب لوى فرانسس بجائزة Th. Renaudot

وروبرت فرانسس شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ، ولد عام ١٩٠٩ وكان منذ صغره كلفاً بقراءة الأدب ودراسته ، إلا أن أسرته أرغمته على الالتحاق بمدرسة الهندسة ، فكان هذا التصرف دافعاً على ازدياد شغفه بالأدب والكتابة : فأصدر وهو لايزال فى الثامنة عشرة من عمره هو وشقيقه مجلة Les Cahiers 1928 التى عاشت ثلاثة أعوام

وابتدأ يكتب فيها عدداً من المقالات السياسية ، وكذلك القسم الخاص بنقد الكتب وفى ذلك الوقت أيضاً نشر فى المجلة أول أعماله الأدبية Souvenirs Romencés d'une vie d'eufant وهى ترجمة حياته مصوغة فى قالب روائى . وفى عام ١٩٣٠ أدى روبرت فرانسس خدمته العسكرية فى قسم الطيران ، وقد أظهر كفاءة أثناء اشتغاله فى الحصون الشرقية دفعت وزير الحربية الى انتدابه عام ١٩٣١ للعمل فى الحصون الشمالية ، فقضى ستة شهور متنقلاً بين (مان) و (ريمز) تاركاً المنان لأحاسيسه الشعرى يتأمل تلك الغابات الواسعة الممتدة الأطراف . على أن المرض حال بين فرانسس وبين الاستمرار فى البقاع الشمالية فرجع الى (قانس) حيث قضى ستة أشهر طريح الفراش . ولم يكد يبل من مرضه حتى شرع يكتب أولى قصصه La Grenge aux trois bella التى ظهرت فى العام الماضى ، وفى هذا العام ظهرت قصتاه اللتان نال عليهما الجائزة وهما La maison de verre و Le Bateau - Refuge تحملان عنواناً رئيسياً واحداً هو La chute de la maison de verre

والقصتان تكملة للقصة الأولى . والقصص الثلاث تفيض بالأخيلة الشعرية التى تدنيها من الأساطير

وفن روبرت فرانسس يمت الى تلك المدرسة التى يسميها الناقد ادمون جالو Réalisme magique وهى مدرسة تحاول أن تصلح ما يوجه من النقد إلى المدرسة الشعبية populisme التى تكاد تقتصر على وصف شقاء المجتمع الفقير وما يخلقه هذا الشقاء من الرذائل . فالمدرسة الجديدة بتجديدها تحاول أن تتكلم عن فضائل هذا المجتمع الفقير . ولذا نرى روبرت فرانسس يرسم لنا فى قصصه مقدار إحساس أبناء الطبقة الدنيا بالكرامة ومقدار سموهم الروحى وصفاء نفوسهم . مما يجعلهم أهلا لأن يرتفعوا عن مستوى حياة الحيوانات التى يحيونها

وروبرت فرانسس إلى جانب انتاجه القصصى كاتب سياسى ، وهو فى مقالاته التى ينشرها من حين لآخر يدعو إلى إصلاح اجتماعى يهيئ للطبقات البائسة حياة حرة كريمة

أما مارك برنار الفائز بجائزة Interallié فقد نشأ فى بلدة نيمز فقيراً معدماً . وكان طبيعياً أن يحول بؤسه وشقاؤه بينه وبين الدراسة المدرسية ، وأن ترغمه ضرورات المجتمع الحاضر على الاشتغال فى سن مبكرة ليجنى القدر الضئيل من المال كى يطفىء ألم الجوع ، فهجر نيمز متنقلاً من بلد إلى آخر . ولم يترك عملاً من الأعمال إلا طرق بابه وعالج سبيله . فاشتغل فى السادسة عشرة ممثلا فى مرسيليا ، ولما لم يصادفه النجاح اشتغل حمالاً للبواخر ، ثم اشتغل عاملاً فى السكك الحديدية ، وعاملاً فى مصانع المعادن ، وصابغاً للأحذية وغير ذلك من الأعمال الوضيعة المختلفة .

وكان مارك برنار لا يميل ميلاً شديداً للكتابة ولا يرى فى نفسه استعداداً لها . على أن الضرورة أرغمته على معالجتها علها يستطيع عن طريقها أن يضمن عيشه ، فنشر عام ١٩٢٨ أولى قصصه

Zih - Zag فصادف نجاحاً دفع الكاتب هنري باربوس رئيس تحرير مجلة (موند) إلى أن يعهد إليه تحرير قسم النقد الأدبي في مجلته ، فعرف برنار عن طريقها عدداً من أعاظم الكتاب ، وابتدأ يشارك أيضاً في تحرير (المجلة الفرنسية الجديدة) ومجلة (أوروبا)

وقد نشر برنار بعد قصته الأولى قصة Au secours ثم تلتها قصته الأخيرة Anny التي نال عليها الجائزة

وبرنار كاتب اشتراكي ، وهو في قصصه ومقالاته يفيض بالثورة على المجتمع الرأسمالي ، ويعلي من شأن الطبقات المهضومة الضعيفة بفقرها التي خصص لوصفها — كما يقول — قصته التي يوشك أن ينتهي منها واسمها (المنفيون) Les exilés

أما لوي فرانسيس الفائز بجائزة Renaudot فقد بدأ حياته مدرساً بالليسيه فرانسيه بالقسطنطينية ، فعرف الشرق عن ذلك الطريق ، ووصف ما وصلت إليه خبرته ودراسته في كتابه Chroniqus turques ثم كتب بعد ذلك قصته Blanc التي نالت جائزة رينو دوه

الفردوسي في التوربون

احتفل في الأسبوع الماضي بمهرجان الفردوسي في السوربون واشترك في هذه الحفلة رئيس الجمهورية المسيو ليبران ، وعدد كبير من السراة والأعيان ، بينهم الجنرال غورو حاكم باريس العسكري ، وكان بين الذين حضروا المسيو شارلتي مدير جامعة باريس ، وسفراء العجم في فرنسا وانكلترا ، والجنرال ثوله مستشار وسام اللجيون دونور الأعلى ، ومن رجال المجمع العلمي اميل برنار ، ومدير كلية (الكليج دفرانس)

وقد أقيمت في القاعة قاعدة أقيم عليها تمثال مثل الفردوسي أحيطت بالأعلام الايرانية والفرنسية

وألقى مدير الكليج دفرانس خطاباً باسم المجامع الفرنسية ثم عقبه الأستاذ ماسيه مدير اللغات الشرقية فعرض لشعر الفردوسي وأثره ، وألقى المسيو اميل برنار خطاباً أطرى فيه الفردوسي وختمت الحفلة بخطاب وزير التربية والتعليم تناول فيه حياة الفردوسي

ايطاليا تحتفل بالفردوسي

احتفل في الأكاديمية الملكية في روما بذكرى الفردوسي ، وألقى المسيو مالينو محاضرة قيمة عن الفردوسي وعن شعره الخالد وأثره الكبير في الأدب العالمي

وفاة جوستاف لانسون

توفي أخيراً بباريس الدكتور جوستاف لانسون أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة السربون عن سبعة وسبعين عاماً باحتقان الرئة ؛ ولقد كان المصاب به عظيماً أحدث هزة شديدة في الأوساط الأدبية في فرنسا

ولد جوستاف بمدينة أورليان ، في الخامس من شهر أغسطس عام ١٨٥٧ ، وفي عام ١٨٨٦ دعاه القيصر ليثقف بالأدب الفرنسي ولي العهد الذي صار فيما بعد نقولا الثاني ، ثم عاد إلى التدريس بمدارس الليسيه بفرنسا ، وانتقل بين ثلاث مدارس من مدارسها وكان مثالاً للنشاط والجد ، وقد أدى اختياره مدرساً بها إلى انتخابه مديراً لمدرسة المعلمين العليا بباريس وكان ذلك عام ١٩١٩ وبقي بها حتى عام ١٩٢٧ ومنذ يومئذ بدأ يتم مؤلفاته في النقد ، ونذكر من مؤلفاته وكتبه ، نصائح في فن الكتابة ، بوسويه ، وبوالو ، والناس والكتب ، ودراسات أدبية وأخلاقية ، وكورني ، وفولتير ، وثلاثة أشهر في التعليم بالولايات المتحدة ، وطرق تاريخ الأدب ، والمثل الفرنسي الأعلى في الأدب ، ونهضة الثورة ، وابتكارات لامرتين

وفي عام ١٩٢٤ عين عضواً في رابطة الشرف ، ولكنه أبى أن يدخل الأكاديمية الفرنسية برغم الحاح المعجبين به ، وإن كتابه تاريخ الأدب الفرنسي الذي ظهر في عام ١٨٩٤ ثم أضاف إليه كثيراً من التعليقات فيما بعد لكفيل بأن يجعل للانسون مكانة عالية محترمة

تحسين جديد في (التليفون)

يتسابق رجال العلم والاختراع في إدخال التحسينات على «التليفون» وآخر ما طالعناه في إحدى الصحف العلمية أن أحد المخترعين الفرنسيين تمكن من اختراع جهاز جديد أدخله على التلفون الأتوماتيكي الاعتيادي . والقصد من هذا الجهاز أنه عند ما يرغب المتكلم في محادثة أحد ، فما عليه إلا أن ينطق بالرقم المطلوب فتدور الأسطوانة من تلقاء نفسها بفعل تموجات الهواء . وهذا الجهاز يصلح استعماله في الظلام أي عند ما يكون الانسان مضطجعاً في فراشه ولا يريد أن يجهد نفسه . ويعتقد المخترع أن هذا الجهاز سيعم استعماله جميع أنحاء العالم

تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

[بقية المنشور على صفحة ٢١٥٢]

الغريب . أما علاج هذه الأدواء فهو التربية المؤسسة على الفضيلة التى تشجع النفوس وتعلم الأرواح معنى التضحية ... والوطن وما الوطن — عند فيخت — إلا خلود الانسان على الأرض ، أتلك صفة محمودة فيمن يرغب عن مؤازرة أخيه بعقله أو بعمله ؟ من هو ذلك الانسان الذى يبغى ألاَّ يخلق فى فراغ الأزمان شيئاً جديداً لم يمر بخاطر ، ولم يقع عليه ناظر ؟ هذا الشئ الذى يغدو مورداً لا ينضب لاكتشافات جديدة ؟ ومن الذى لا يرضى بأن يفادى بمقامه فى هذا الوجود ويتجاوز عن أجله القصير القدر له لقاء بعض شئ سيخلد أبداً فى هذه الأرض ؟ أى خلق نبيل لا يرضى بهذا ؟

ألا إن هذا الرضا لا يتمثل إلا لعيون الذين يعتقدون بأن الوجود كامل الصورة ، ملائم كل الملاءمة لحاجهم ، وجامع لأمانيهم ، ما خُلق إلا لهم . وأصحاب هذه الفكرة هم عندى أصحاب هذا الوجود ، وهم أصله ونواته . أما أولئك الذين ينظرون الى الحياة غير هذه النظرة فليسوا إلا حشرات سحيقة تزحف فى مسارب وجود سحيق) .

وبينا كان فيخت يكسو فلسفته الآراء السامية ، كان يعمل على أن يكسو نفسه أثواب السمو . ولكن الردى عاله ولما يؤد رسالته ، فقضى نحبه سنة ١٨١٤ مستريحاً من جميع أوصابه

فلسفة :

فلسفة « فيخت » هى فلسفة رجل لايعرف للعقل والقوة الانسانية حدوداً يقفان عندها . وقد كان — كانت — يرى أن معرفتنا تقوم على أن نوفق بين العقل الخارجى وبين نظام إدراكنا الداخلى ، وهو يرى أن وراء ما ندركه شيئاً قائماً بنفسه منسلخاً عنا لايتطاول اليه إدراكنا . وما معرفتنا — عند كانت — إلا مظهر يتوارى وراءه السر الأبدى واللغز السرمدى . أما « فيخت » فهو يوقن بأن هذا المظهر نفسه هو الحقيقة ذاتها ، وهو وليد قوة « النفس » التى لاتنفد ، وذلك الشىء القائم بنفسه إن هو إلا حد يكبح قوة النفس ويحاول أن يقضى على سطوتها ، ولكنه حد يزداد أمره ضعفاً كلما استطاعت النفس أن تبرز من قوتها وتفرض شيئاً من سيطرتها على الوجود ؛ وبهذا كانت غاية العلم أن يتغلب العالم الداخلى وهو عالم العقل والروح على العالم الخارجى وهو عالم المادة

والنقطة الأساسية لفلسفة « فيخت » هى هذه الذات التى يجعل منها « الفاعل المطلق » فى هذا الوجود ، لكن هذه الذات لاتكمل لها معرفة ذاتها إلا إذا قورن بينها وبين غيرها ، وبضدها تتميز الأشياء . فان تخصيصى مثلاً لوجودى بقولى « أنا » يثبت منطقياً لغير ذاتى وجوداً . لأن الأخص يستثنى من الأعم . وهذا الغير هو الذوات السارحة فى هذا الوجود

قد تيقظت الذات فى إحدى خطراتها يوم أحست بنفسها فألفت أمامها سداً يقف سيرها . فوقفت وشعرت بأنها مقيدة ، من ورائها ومن أمامها سدود ، فأخذت تنظر الى علة هذه الحدود وهذه السدود ، فخالت أن هذه العلة كامنة فى جواهر الأشياء ، فأما الشعور العادى فهو يرى العلة فى جوهر الأشياء ، أما الفيلسوف فهو يعتقد بأنها كامنة فى التحريض الذى تثيره الذات لبسط سلطانها على الأشياء ، وتحقيق غايتها التى تطويها فى صدرها . وهكذا تجرى حياة الكائن المفكر ، فهو طوراً يصيب مركز الدائرة وطوراً يحيد عنه

(يتبع) دير الزور خليل هنداوى

سيصدر قريباً كتاب

COMPANION

to

A Primary Course Book III.

Meanings. Exercises. Composition

تأليف

زكى نجيب محمود محمد فتحى رمضان

عبد المجيد مصطفى

المدرسين بمدارس الأوقاف الملكية

بعض الكتب الجديدة

فى علم النفس

تأليف

محمد عطية الابراشى و حامد عبد القادر

صدر هذا الكتاب النفيس الذى يقع فى أكثر من أربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، منذ شهور قلائل ، فملأ من المكتبة العربية فراغاً شاغراً ، كان يأسف له كل من يتمنى لهذا الشرق أن يساير الغرب فلا يتخلف من دونه فى بعض الطريق . وما ظنك بهذا العلم الذى تبوأ فى أوروبا وأمريكا منذ منتصف القرن الماضى مكانة رفيعة بين العلوم ، وأصبح منذ ذلك التاريخ محلبة العقول وحومة الأقلام ، تتناصر كلها وتتضافر على دراسة النفس الانسانية ، حتى سارت فى ذلك شوطاً ، إلا تكن قد انتهت به إلى نتيجة حاسمة ، فهى على كل حال سائرة فى الدرب السوى سيراً مطرداً حثيثاً . نعم ، كان علم النفس طوال القرن الماضى شغل الساغة فى عالم الغرب ، أما نحن فقد لبثت أقلامنا بإزائه صامتة ، لا تكاد تمس الموضوع إلا مساً رفيقاً ، إذا استثنينا كتاباً أو كتابين ؛ وكأنما أحس الأستاذان المؤلفان بهذا النقص المعيب ، بل هو أجدر أن يسمى فقراً وإجداباً ، نشأت لها همة عالية ، أن يتداركا الأمر بعزم جديد ، وكفاية ممتازة ، فأخذا منذ عام أو نحوه يخرجان للناس بحوثاً مستفيضة فى كتب تترى ، هذا ثالث أجزائها ، وفى فصول متلاحقة أخذت تغمر الصحف ، حتى كان لنا فى علم النفس بفضلهما محصول ذو غناء بوفرته ومتاعه ، وأى شىء أحب إلى النفس وأمتع من أن تطالع نفسها مشروحة مفصلة ، فى تحليل دقيق عميق سهل مستساغ ، لا تشوبه خشونة العلم وغلظته ؟ فقد وفق الأستاذان الفاضلان فيما يكتبان الى « السهولة فى الأسلوب ، والوضوح فى العبارة ، مع الدقة فى التعبير ، والبحث وراء الحقيقة ، حباً فى الوصول الى الحقيقة لذاتها ، حتى يسهل الصعب ، ويتضح الغامض ، ويقرب الى الأذهان ما بعد عنها ، من تلك الموضوعات التى لم تخدم بالعربية الخدمة اللائقة بها » . وأما فصول هذا الكتاب القيم فهى : الفكر ، الحكم ، الاستنباط ، التحليل ، التفكير الراقى ، الوجدان ، الانفعالات ، العواطف ، الأمزجة ، الأذواق ، الشخصية . . . . . وقد وضعا بجانب الاصطلاحات العلمية ما يقابلها باللغة الأجنبية تجنباً للخلط ، ومنعاً للخطأ فى التفكير

وما دمنا بصدد ترجمة الألفاظ ، فقد نحب أن نعترض اعتراضاً نعترف أنه تافه يسير بالقياس الى هذا المؤلف الجليل : فقد ترجم الكاتب كلمة Conception بلفظة (التعقل) فى الصفحة الخامسة من الكتاب ، ثم عاد فى الصفحة الثالثة عشرة فأطلق لفظة التعقل هذه ، تعريباً لكلمة Ideation ومهما يكن بين اللفظتين من قرب وشبه ، فقد كنا نؤثر أن تنقل الكلمتان الانجليزيتان المختلفتان الى كلمتين عربيتين مختلفتين ، وليس ذلك بعزيز على الأستاذين المؤلفين . وهناك ملاحظة أخرى أخذتها العين أخذاً أثناء التصفح السريع ، فقد أراد الكاتب أن يورد تعليل الوجدان (ص ١٤٦) فقال : « التعليل الجثمانى — ومعناه أن الوجدان راجع الى تغيرات مادية خاصة تحدث فى الجسم ، فينشأ عنها الشعور بالسرور أو الألم . وقد أجريت تجارب لأثبات ذلك فوجد مثلاً أن القلب يبطىء فى دقاته ، وأن التنفس يسرع عند السرور . أما عند الألم فقد شوهد العكس ، أى أن القلب يسرع فى ضرباته ، وأن حركات التنفس تكون بطيئة . . . » وعندنا أن هذا متناقض أوله مع آخره ، أو على الأقل كتب بعبارة يفهم منها القارىء هذا التناقض ، لأنه يريد أن يثبت أن علة الوجدان جثمانية ، أى أن الحركة الجثمانية تكون أولا ، ويكون السرور أو الألم ثانياً ، ولكن قوله إنه قد أجريت تجارب فوجد أن الجسم يحدث به كذا وكذا عند السرور ، قد يفهم منه أن السرور ينشأ فتنشأ تبعاً له حالة معينة بالجسم ، وهو عكس ما أريد إثباته

ولا يسعنى فى ختام هذه الكلمة القصيرة ، وقد كان المقام يستدعى الأسهاب ، إلا أن أسجل رغبة أحسستها عند تصفحى الكتاب ، وتلك أننى وددت لو خرج هذا السفر الجليل الممتع المفيد ، أجمل انسجاماً من حيث الطبع ، وبخاصة فى مواضع العنوانات وحجومها

وإنى لأنتهز هذه الفرصة لأهنىء المؤلفين الفاضلين على هذا التوفيق ، وأهنىء قراء العربية أن كان لهم هذان المؤلفان الفاضلان

زكى نجيب محمود

وجهة الإسلام

تأليف جماعة من المستشرقين

ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده

كتاب فى نحو مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ألفه بالأنجليزية الأساتذة هـ . ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن ؛ ل . ما سينيون الأستاذ بجامعة باريس وكلاهما عضو بالمجمع اللغوى الملكى المصرى ؛ ج . كامبفماير بجامعة برلين ؛ ك . برج بجامعة ليدن والفتنانت كولونل فرار بالجيش الهندى سابقاً . ولقد قام بتعريب هذا الكتاب الأديب محمد عبد الهادى أبو ريدة خريج قسم الفلسفة بالجامعة المصرية

ولنك لتفهم موضوع الكتاب من تلك العبارة التى جاءت فى مقدمة الترجمة العربية بقلم الأستاذ جب : « فأما الذى يرمى اليه مؤلفو هذا الكتاب فهو أن يحللوا تيارات الفكر التى تعبر عن حالة المسلمين ثم النزعات التى تتردد بينهم ليراها القارىء الأوربى اللبيب الذى له بعض الخبرة بحياة البلاد الشرقية » . ولقد قسم المؤلفون موضوعاته بينهم فاختص الأستاذ ماسينيون بمن اتصل من العالم المسلمين اتصالاً وثيقاً بالحياة الأوربيــة ، وتكلم الأستاذ كامبفماير عن النظم الجــديدة فى الحياة الاجتماعية والعقلية فى آسيا الغربية ، وانفرد الكولونل فرار بدراسة الأسلام فى الهند وعلى الخصوص علاقته بالناحية السياسية ، أما الأستاذ برج فقد اتخذ اندونيسيا موضعاً لبحثه ، وقدم الأستاذ جب هذه الدراسات فى فصل طويل ممتع عن الأســـلام والحالة فى العالم الأسلامى

فهذا كتاب جدير بالدراسة ، حرى بأن يقرأه الأديب المسلم ليرى رأى علماء الشرقيات ، أو بعبارة أخرى ليرى مقدار فهمهم للعالم الأسلامى ، ونزعتهم الفكرية أثناء الكتابة عن أحوال الأسلام ، وسيرى فيه كثيراً من الأفكار الدقيقة والنقط الهامة الجديرة بالبحث والتحليل كما أنه سيرى بعض أغلاط المستشرقين فى نظرتهم الى العالم الأسلامى ، فكثير منهم يقف من هذا الموضوع موقف من يزور مدينة كبيرة لأول مرة فيكون أسرع من أهلها أو أكثر تأثراً منهم بمواضع الدهشة والقوة فيها ، على حين أنه يغفل عن كثير من نواحى ذاتيتها ومعانى روحها وألوان شخصيتها مما لا يستطيع معرفته حق المعرفة إلا أبناؤها الخلص

أما عن التعريب فآثار العناية بادية فى الموضوعات كلها على العموم ، وإن كان المعرب أحياناً يتأثر بالتركيب الانجليزى والأخيلة الانجليزية فى طريقة سياق الأفكار وتسلسلها فى الجملة الواحدة فتلتوى العبارة العربية التواء يلبسها الروح الانجليزى ، مما يسبب صعوبة فهمها أحياناً ، أو يخرج بها عن المراد منها أحياناً أخرى . خذ لذلك مثلاً قوله : « ولعل من سداد الرأى توقعنا أن يكون انتشار الأسلام على هذه الأصقاع الشاسعة واشتماله على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة أخرين سيحولان دون بلوغ وحدة حقيقية فى المدنية الأسلامية ، وإنه رغم اتحاد المظاهر الدينية فان بقاء العادات التى رسخت قديماً وأساليب التفكير المختلفة فى طبيعتها اختلافاً لا يدع لاتفاقها سبيلاً سيؤثر تأثيراً قوياً فى ثقافة كل اقليم على حدة حتى لا يترك مجالاً لتقاليد شاملة ولا لأى وحدة تامة فى الشعور وحتى يوجد عدداً من الثقافات الأقليمية الأسلامية »

على أن المعرب الفاضل قد أحسن صنعاً على أى حال بتقديم هذا الكتاب القيم إلى لغة الضاد الخفيف

الأسبرانتو Esperanto

الأسبرانتو لغة سهلة محايدة لا تنتمى لدولة أو شعب ولا غنى عنها لحل مشكلة التفاهم بين الشـــعوب المتعددة اللغات

ارسل فى طلب النشرة نمرة ٣٠ وكذلك « المفتاح » الذى يحوى ٢٠٠٠ كلمة و يشمل أجر ومية هذه اللغة وهو يرسل لمن يطلبه نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد أو قسيمة بريد للمجاوبة

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة لمتكلمى اللغة العربية

ص . ب ٣٦٣ بورسعيد — القطر المصرى